الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة العلوم

الموسومة بـ :

إشكالية المنهج في العلوم الإنسانية
ميشيل فوكو - أنموذجا -

إعداد الطالبتين:

- مريم مامري
- خديجة غريبي

إشراف الأستاذة:

- فضيلة مبارك

أعضاء لجنة المناقشة:

- بلخير خديجة ..... رئيسا .
- مبارك فضيلة ..... مشرفا ومقررا.
- بن ناصر الحاجة.... ..... مناقشاً.

السنةالجامعية:

1436هـ-1437هـ / 2015م-2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

نفتتح محاولتنا هذه في مسار البحث العلمي باسم الله العلي القدير و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه نشكره عز وجل على حسن توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي نرجو أن يكون مقبولا و نافعاً إن شاء الله.

فإن هذه الدراسة لم يكن لفصولها و مباحثها أن تكتمل إلا بتوفيق من الله و بمساعدة أصحاب الفضل الذين كان لمواقفهم بالغ الأثر و لدعمهم المتواصل على الجد و السهر ، في هذه السطور نقدم لهم كل الشكر و التقدير و الامتنان و نخص بالذكر الأستاذة المحترمة **مبارك فضيلة** ، جزاها الله خير جزاء و لكل أساتذة الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي ومن الأعماق نتوجه بشكر خاص للأستاذات الكريمات بلوط صبرينة، بن ناصر الحاجة و بلخير خديجة و جميع أساتذة قسم الفلسفة بجامعة ابن خلدون

إلى كل من ساعدنا و لو بكلمة طيبة من قريب أو من بعيد.

إهداء

يحملني الفخر و الإعتزاز على أجنحة الشغف عبر أمواج الحب

فوق سفن الأمل أتقدم بهذا العمل المتواضع

إلى مصدر إلهامي و فخري ملكة عرشي أمي الحنونة

و أمير قلبي والدي الكريم شفاه الله وأطال في عمره

إلى كل أفراد عائلتي من كبيرهم إلى صغيرهم و أخص بالذكر :

إخوتي : عبد القادر ، محمد ، نور الدين ، كمال ، خالد ، محمد ، بغدادي .

إلى زوجاتهم : خيرة، كريمة، و الكتكوت عبد الرحيم .

إلى أخواتي : حورية، مريم ، عائشة، فاطمة .

إلى كل من ساعدني في، إنجاز هذا البحث و خاصة الأستاذة الفاضلة مبارك فضيلة.

إلى صديقاتي : نعيمة ، وسيلة ، حنان ، ضاوية ، آسيا .

إلى كل من نسيهم قلمي و لم ينساهم قلبي .

مريم

إهداء

إلى التي رسمت بحنانها طريقيو لا تزال ... و كللت بدعائها سماء حياتيو لا تزال ...إلى التي وهبتني من آياتها صبرها ... إلى الدرة الكامنة في قلبي ....**إمي الغالية ,**

ألى من رفع آية التحدي و الكفاح دوماً ...إلى من بقي صلباً و قوياً رغم المصاعب و المحن ...إلى الذي منحني ثقته و صفوة خلده فاستلهمت عظمة العلم و سعته ...**أبي الغالي**

إلى من شاطروني حياتي إلى الين ألهموني العزة و حلاوة المنى إلى كل إخوتي الأعزاء

إلى من شاطري حياتي و ربيع أملي زوجي الغالي **محمد**

إلى قرة عيني ابني الغالي **آدم أنيس** . إلى الأستاذ الفاضلة مبارك فضيلة.إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع .

خديجة

مقدمة

لقد سادت في النصف الثاني من القرن 19 نزعة علمية وثوقية تعتقد بإمكانية تفسير كل الظواهر باختلاف أنواعها والتي ظلت دون تفسير إلى يومنا هذا، وخضع مفكرو هذا العصر لسيطرة نموذج فيزياء نيوتن القائم على التجربة وتم تعميم أسس المنهج الوضعي ليشتمل العلوم الإنسانية ، وكان من نتاج ذلك كله أنه تم اختزال الظواهر الإنسانية في جوانبها الحسية والفيزيقية وإسقاط ما هو متجاوز ومتعالي وغيبي في الوجود.

غير أن النتائج العكسية لتطبيق أسس المنهج الوضعي المستمدة من العلوم الطبيعية الإنسانية دفعت عددا من العلماء والفلاسفة إلى ضرورة التنبيه على الاختلاف الحاصل بين فروع هذين العلمين ودعت إلى وضع حدود فاصلة بينهما، ولأن تجاهل هذا الاختلاف والتباين لا يؤدي فقط إلى كثرة المفاهيم الخاطئة وإنما سيؤدي حتما إلى أوهام لا يمكن أن تتحقق بأي حال من الأحوال وهذا ما استدعى من الفلاسفة ابتكار مناهج جديدة وخاصة للعلوم الإنسانية فكان "رونيه ديكات" من أسس المنهج العقلي من خلال مؤلفه "مقال في المنهج"في محاولة لبلوغ الدقة في النتائج الفلسفية وذلك بالاقتداء بالنموذج الرياضي، ثم جاء "إيمانويل كانط" وأرسى دعائم الخطاب الحدثوي"مستندا " "اللوغس"logos إلى مقالة في" الذي استكمله فيما بعد هيجل فتمركز حول مختلف إبداعات الحضارة الغربية وكان تتمة لما شيد منذ اللحظة الأفلاطونية .

ومع حلول الحقبة المعاصرة أصبحت مشكلة المنهج في صلب التفكير المعاصر نظرا لجملة المتغيرات التي شهدها الواقع الفكري نتيجة التحولات التي مست الحقول المعرفية المختلفة ،كالعلوم الطبيعية التي شهدت مع بدايات القرن التاسع عشر تطورا هائلا نتيجة إبداع مناهج علمية ميزتها الجوهرية التحلي بالموضوعية والدقة بعيدا عن الأوهام والذاتية

وفي ظل هذا المناخ السائد في أوروبا برزت عدة مناهج تسعى إلى أن تواكب ديناميكية العلوم وصيرورة الفكر العلمي وأن ترقى إلى تطلعات الذات، ومن بين هذه المناهج الجينيالوجيا النيتشوية التي

عملت على تقويض مختلف مقولات المطلقة و النسقية، فحطمت ما دشنته الحداثة الأوربية، ثم ظهر المنهج الفينومينولوجي الذي تبلورت أسسه مع "ايدموند هوسرل".ثم عرفت رواجا عند أقطاب الفلسفة لوجودية أمثال"جون بول سارتر"و"مارتن هايدغر"الذي حمل لواء النقد "الفينومينولوجي" للحداثة الأوروبية بمختلف مقولاتها، وامتد النقد إلى أبعد مدى مع ظهور البنيوية كمنهج متكامل في دراسة الخطاب ومع"دسوسير"في اللسانيات ستتوجه الأبحاث الإنسانية إلى اللغة الفيلولوجيا فبرزت دراسات "أنثروبولوجية" مع"ليفي ستروس"في الحقل اللساني،كما عرف مجال التحليل النفسي منعطفا حاسما مع "جاك لاكان" ،وفي السياق نفسه حمل الفيلسوف الفرنسي"جاك دريدا"لواء النقد والتفكيك لمختلف المقولات التي أرست دعائم التيه والضياع بين ثنايا النسقية الميتافيزيقية واستمرت مسيرة هذا النقد في الفترة المعاصرة من تاريخ الفكر بميلاد اللحظة الفوكوية التي تحتل مكانة بارزة في الفكر الغربي.

ففوكو انطلق من نقد الثقافة الغربية ومناهجها المعتمدة في تحليل الظواهر الإنسانية وسعى إلى إبراز المساوئ التي تأملت في المجتمع الغربي جراء الأنماط المعرفية السائدة، فالمشروع النقدي وما تضمنه من مناهج يمثل محورا هاما في الفكر المعاصر وذلك من خلال تأثره "بنيتشه" و"ماركس" هو الذي أسس منهجا تندرج فيه أعماله هذا المنهج هو ما شكل حفريات المعرفة لدى" فوكو"أول تجسيد من تجسيدا ته ففي كل كتاباته كان يفكك الوحدات ليضعها موضع سؤال ليضع في اعتباره كثرة الحوادث المتفرقة، فعمله كنقاب كأركيولوجي يتمثل في إظهار المفارقات المعرفية في ميادين العلوم الإنسانية.

لهذا كان من الأسباب والدواعي التي قادتنا لاختيار هذا الموضوع تتمثل من الناحية الذاتية في شغف الإطلاع على المناهج الغربية المعاصرة ومدى تأثير هذه المناهج على مسار الفكر الفلسفي ، إضافة إلى محاولة الانفتاح الآخر ودراسة إبداعه الفكري وتحليله، واخترنا الفيلسوف الفرنسي"ميشال فوكو" كنموذج في هذه الدراسة.

إن البحث في إشكالية المنهج عند فوكو يدفعنا إلى طرح عدة تساؤلات إستمولوجية وأنطولوجية، تتمحور أساسا حول ماهية المشروع الفوكوي وغايته، فان كانت غايته،نقد البنى الثقافية للمجتمع الغربي، فهل استطاع أن يعطي البديل من خلال منهجه الأركيولوجي؟ وكيف كان صدى وتأثير المشروع الفوكوي على الساحة الفلسفية المعاصرة؟ وكيف طبقه في مجال العلوم الإنسانية؟ وهل وفق في ذلك؟ لتحليل هذه بالإشكاليات وغيرها، اعتمدت على المنهج التحليلي النقدي لإمام بالموضوع واستفراد لعناصره بهدف نقدها وبيان أبعاد الفلسفة الفوكاوية التي انكب الباحثون على دراستها من زوايا مختلفة.

هيكلة البحث:

على ضوء ماسبق اقتضت منا الضرورة المنهجية تقسيم البحث إلى ثلاث فصول وكل فصل يحتوي على ثلاث مباحث.

الفصل الأول بعنوان كرونولوجيا وجينالوجيا المفهوم ،فتناولنا فيه في المبحث الأول مجموعة من المفاهيم التي تندرج ضمن المشروع الفوكاوي فاستخدم في جل أعماله وأهمها المعرفة، السلطة، الأركيولوجيا والعلوم الإنسانية وغيرها، وجاء هذا المبحث بعنوان شبكة المفاهيم، أما عن المبحث الثاني تحدثنا فيه عن مسيرة حياة"فوكو"وأبرز أعماله والذي جاء تحت عنوان"الفضاء الكرونولوجي للفيلسوف"،المبحث الثالث تناولنا فيه فلسفة فوكو وعلاقتها بفلسفة العلوم وتحدثنا فيه عن مشروع فوكو ونظرته للإبستمولوجيا في الفكر الغربي المعاصر.

والفصل الثاني بعنوان فوكو و التأصيل لمنهج علمي، المبحث الأول معنون بخصائص الظاهرة الإنسانية عند فوكو وتمثل في مجمل العوائق الإبستيمية التي حالت دون دراسة الظاهرة الإنسانية في نظر "فوكو".

والمبحث الثاني بعنوان "تجاوز العوائق التي تحول دون دراسة الظاهرة الإنسانية من خلال مجاورة الميتافيزيقا والإقتداء بعلمية النتائج، والمبحث الثالث جاء تحت عنوان إشكالية المنهج الفوكاوي في الظاهرة الإنسانية ، وتناولنا فيه آليات النقد الأركيولوجي ومفهوم السلطة والبنيوية.

أما الفصل الثالث بعنوان:"نقد وتقييم المشروع الفوكوي ومصير العلوم الإنسانية وفي مبحثه الأول قمنا بمقاربة ابستمولوجية بين "كلود ليفي ستروس"و"ميشال فوكو"حول توظيف المنهج البنيوي في الدراسات اللغوية واللسانيات، أما المبحث الثاني جاء بعنوان"نقد وتقييم وفيه قمنا باستعراض الانتقادات التي وجهت لفوكو من طرف الفلاسفة الذين عاصروه، والمبحث الثالث جاء تحت عنوان"مصير العلوم الإنسانية تطرقنا فيه إلى أهم النتائج التي توصلت إليها العلوم الإنسانية في ظل المشروع الفوكوي وأنهينا بحثنا هذا بخاتمة تضم مجموعة استنتاجات عن فلسفة فوكو.

لقد كان خطاب فوكو ومازال يمتلك سلطة مؤثرة على فلاسفة الغرب المعاصرين فهو يمثل ظاهرة في الفكر العالمي إذ استطاعت أطروحاته أن تحدث تحولات كبيرة في المجالات التي تصدى لها في مختلف الدراسات الأجنبية والمراجعات والترجمات العربية التي تعرضت لفكر "فوكو"وكانت معظمها تدور حول"الخطاب والسلطة والمعرفة والجنون وغيرها من الإشكاليات"و أبرز هذه الدراسات وأشملها هي تلك التي قدمها "جيل دولوز" الصديق الحميم لفوكو، وأبرز دعاة الاختلاف حيث قام بقراءة لفوكو من خلال كتاب المعرفة والسلطة، وقد جاء نفس العنوان المعرفة والسلطة في الدراسة التي قام بها المفكر عبد العزيز العيادي "إضافة إلى المؤلف"بول فيين"في كتابه أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج يبين فيه إسهام فوكو في منهج التاريخ وأهم قضاياه، مستدعيا في ذلك كمّا من هائلا وقائع التاريخ العالمي كما قدم الدكتور المغربي "الزواوي بغورة" عرضا لأطروحات فوكو من خلال طرح المفاهيم الفوكوية وإعادة قراءتها، حيث استطاع التعامل مع أفكار فوكو ومقالاته وأحواله وتضاف إلى قائمة هذه الدراسات"مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس"من جامعة ابن خلدون قسم الفلسفة من طرف الطالبتين: "سبخاوي فاطمة الزهرة"،"وزغيش عائشة"، ويعتبر مشروعنا هذا محاولة لتكملة تلك الدراسة المعنونة :بإشكالية المنهج في العلوم الإنسانية عند"ميشال فوكو"،لقد اتسعت الدراسات التي

تناولت هذا الموضوع ونحن نقد بحثنا هذا سعيا منا لتحليل إشكالية المنهج عند فوكو ليس فقط ليضاف إلى قائمة الدراسات حوله وإنما إثراء الحقل المعرفي وغوصا في فكر أحد أبرز نماذج الفلسفة الغربية المعاصرة، وقد واجهتنا في هذا البحث عدة صعوبات لعل أبرزها هي تلك التداخلات التي يواجهها أي باحث في فلسفة فوكو إضافة إلى تشعب الموضوع وعمقه وصعوبة التعامل مع النص الفوكوي ومضامينه خاصة في تحليل المناهج التي انطلق منها في بداية مسيرته الفلسفية إلى أن شغفنا للمعرفة ساعدنا على تجاوز تلك العوائق.

المبحث الأول : شبكة المفاهيم

1-مفهوم المنهج

لغة :لقد جاء تعريف المنهج في اللغة العربية و ذلك في لسان العرب لابن منظور أن كلمة المنهج من الفعل نهج بمعنى الطريق البين الواضح و أنهج الطريق و ضح و استبان و صار نهجا واضحا بينا ونقول فلان يستنهج سبيل فلان ، أي يسلك مسلكه ، و كذلك نعني بالنهج الطريق المستقيم [1].

و يتبين لنا من هذا التعريف لابن منظور أن الطريقة، الأسلوب الواضح الذي نتبعه لنصل إلى غاية معينة.

اصطلاحاَ: لقد ورد تعريف كلمة المنهج في معجم "لالاند" على أنها طريق نصل من خلالها و بها إلى نتيجة معينة، حتى و إن كانت هذه الطريق لم تتحدد من قبل تحديداَ إرادياً[2] ، و على العموم المنهج هو الطريق الواضح للتعبير عن شيء، أو في عمل شيء ،أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة و بنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة ، و من هنا نرى أن المنهج هو مجموع القواعد المنظمة لعملية التفكير و ذلك للوصول إلى نتائج يمكن اعتبارها أنها عقلية و يقينية ، و اعتبار أن المنهج نسق منطقي و ذلك من خلال تسهيل عملية البحث في شتى العلوم .

يتفق جميل صليبا في تعريفه للمنهج مع "لالاند" يعرفه بأنه الطريق الواضح ،وجميع الكتب التي سميت بهذا الاسم تشير إلى أن المعنى الحقيقي للمنهج أو المنهاج الطريق الواضح و السلوك البين و السبيل المستقيم [3].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، م6 ،دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1997 ، ص ص 4554 ، 4555.

[2]- أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تر: خليل احمد خليل ، ج2 منشورات عويدات ، بيروت،لبنان ، ط2 ، 2001 ، ص 803.

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،لبنان، (د ط) ، 1982 ، ص 434 .

ويتضح من خلال هذا التعريف أن المنهج هو مجموع القواعد المنظمة لعملية التفكير ، ونسعى من خلاله للوصول إلى نتائج يمكن اعتبارها أو وصفها بأنها عقلية منطقية ، كما يعرف ديكارت المنهج أنه عبارة عن قواعد مؤكدة بسيطة إذ رعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صواباً ما هو خطأ [1]، يتبين لنا من خلال هذا التعريف الذي حدده الفيلسوف الفرنسي ديكارت أن المنهج يحدد للباحث مجموعة من الخطوات أو القواعد التي يعرف من خلالها الفرق بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ.

2-السلطة :

لغة : من الفعل سلط يتسلط تسلطا ،و تعني السيطرة و التحكم و هي القدرة و القوة على الشيء[2] ،و جمع سلطات وهي مجموع الأجهزة التي تمارس السلطة مثل السلطة العسكرية والسلطة السياسية .

اصطلاحاً : لقد جاء تعريف السلطة في معجم "مراد وهبة" بأنها القدرة على إصدار الأمر و التنفيذ و كذلك اعتبر السلطة في المسائل الدينية تفيد الوحي[3]، ونعني بالوحي هنا السلطة الإلاهية فبيده الأمر و النهي في كل الأمور ،و ذلك من أجل تنظيم الحياة الاجتماعية ، الاقتصادية ، السياسية و الدينية للإنسان ، كما نعني كذلك بالسلطة الجماعة أو الأشخاص الذين لديهم الحق بالقيام أو بطلب شيء و حتى الحق بطلب قيام الآخرين بشيء ما[4] ، وهنا يتفق أغلب المفكرين على أن السلطة تعني القوة و التحكم في جميع المجالات ، فالسلطة جهاز يتم من خلاله تنظيم المجتمع .

كما نميز بين نوعين من السلطة ، السلطة النفسية و هو ما يطلق عليه السلطان الشخصي و هو قدرة الإنسان على فرض إرادته على الآخرين ، و كذلك السلطة الشرعية و هي السلطة التي يمنحها

---

[1]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة و النشر ، القاهرة،مصر، ط5 ، 2007 ، ص 628 .

[2]-إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز ، طبعة خاصة بوزارة التربية ، مصر ، د ط ، 1994 ، ص 318 .

[3]-مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص 351 .

[4]- تد هوندرش ، دليل أكسفورد للفلسفة ،ج2 ، تر: نجيب الحصادي ، المكتب الوطني للبحث و التطوير ، (د م) ، (د ط) ، (د س) ، ص ص 162 -163 .

القانون أو السلطة القانونية كسلطة الحاكم ، الوالد و القائد ،و هي مختلفة عن القوة لأن صاحب السلطة الشرعية يوحي بالاحترام و الثقة [1] ،وهذا يعني أن السلطة قد تكون شخصية تتمثل في الرئيس أو القائد أو المعلم الذي يمتلك السلطة في حدود معينة ،تُكتسب هذه الثقة من خلال تفانيه في العمل و الذي يكون في حدود قانونية لا يتعداها الذي يملكها، و يقتصر عمله في تنظيم القوانين وتشريعها .

كما تكون السلطة الشخصية أو السلطان النفسي الذي يمتلكه الفرد ويتخذ مختلف القرارات التي تعنيه دون تدخل الآخرين ، و إذا تحدثنا عن السلطة السياسية هي التي تتمثل في مختلف السلطات المعروفة فلدينا السلطة التشريعية ، التنفيذية و القضائية ، أما التشريعية فهي التي تشرع القوانين و التنفيذية هي التي تطبق هذه القوانين وتصادق عليها ، أما القضائية فهي التي تفصل في النزاعات داخل المجتمع .

كما نرى كذلك ميشيل فوكو يعالج موضع السلطة الذي أدرج له عدة مباحث في كتبه، حيث يقول عنها : " إن علاقة السلطة و مسائل الهيمنة و ممارسات الإخضاع إنما تميز المجتمعات الديمقراطية[2]"، كما خصص فوكو كتاباً خاصا بعنوان " المعرفة و السلطة " محدداً فيه مسألة السلطة و لكنه أشار إليها في أكثر من نص فهتم بدراسة وظيفتها و كيفية عملها .

3-الخطاب :

لغة : من الفعل خَطْب أي الأمر و الشأن و الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام و قد خَاطَبَهُ بالكلام مُخَاطبة و خِطَاباً و هما يتخاطبان و الخُطبة مصدر الخَطيب و نقول خَطَبَ الخَطِيب على المنبر و هب العرب على أن الخُطبة هي الكلام المنثور المسجع و الخُطبة مثل

[8]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ،ج1 المرجع السابق ، ص 670.

[2]- ميشيل فوكو ، يجب الدفاع عن المجتمع ، تر: الزاوي بغورة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ،لبنان ، ، ط1 ، 1996 ، ص7.

الرسالة لها أول وآخر[1]، وهذا يعني أن الخطاب عند العرب هو الكلام المقفى الذي يلقيه الخطيب على جماعة من الناس .

و الخطاب كذلك الكلام أو الرسالة و فصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب، و الخطاب المفتوح خطاب يوجه إلى بعض أولي الأمر علانية[2]، ويعني هنا بأولي الأمر الحاكم أو الرئيس الذي يلقى الخطاب أمامه لتوجيه رسالة ما .

اصطلاحاً : الخطاب عند المناطقة قياس مركب من مقدمات مقبولة أو ظنية من شخص معتقد فيه ، و يسمى هذا القياس خطابياً و صاحبه خطيباً[3] ، وهذا يعني أن الخطاب كلام يلقى على جماعة من الناس يكون فيه كلام مقنع فيه من الرسالة التي توجه إلى أشخاص معينين.

وقد تناول هذا المصطلح الفيلسوف الفرنسي فوكو الذي خصص له الكثير من المباحث في كتبه و في دروسه في "الكوليج دي فرانس" ، فيستعمل هذه الكلمة بمعنى تقني اصطلاحي شديد الخصوصية ولا تدل بدقة على ما يقال بل إن عنوان كتابه "الكلمات و الأشياء" هو عنوان يقوم على التهكم و المفارقة [4].

وهذا يدل على أن فوكو قد تناول الخطاب كممارسة في الحياة اليومية ، و الخطاب كما حدده في أركيولوجيا المعرفة أنه ليس وعي يسكن مشروعه الخارجي ، للغة وليس الخطاب عنده لغة تضاف لها ذات تتملكها ، بل هو ممارسة لها أشكالها الخصوصية من الترابط و التتابع[5].

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، م2 ، الرجع السابق ، ص،ص 1194 – 1195 .

[2]- إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز، المرجع السابق، ص 202 .

[3]- مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص 202 .

[4]- بول فيين ، أزمة المعرفة التاريخية ، تر: إبراهيم فتحي ، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، القاهرة،مصر ، ط1 ، 1993 ، ص 309 .

[5]- عبد الرزاق العيادي ، المعرفة و السلطة ، المؤسسات الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ،لبنان ، ط1 ، 1994 ، ص 20 .

حيث أعطى اهتماماً كبيراً باللغة فعن طريق اللغة يمكن تحليل مختلف الخطابات على اختلاف مجالاتها، و إدراكاً لفوكو هذه الميزة الفعالة في تفكيك الخطاب كان لابد عليه استخدام اللغة في الوصف و التحليل ،معتمداً في ذلك على مختلف الثنائيات البنيوية، و يرجع اهتمام فوكو باللغة و ذلك في التجربة الطبية إلى كونها الأداة و الوسيلة المناسبة لتحليل موضوع المعرفة فقد اعتبرها ذات طبيعة علمية وبنيوية ، "من خلال اعتماده على ثنائية الدال المدلول و مبدأ التزامن البنيوي" [1] .

4 – المعرفة :

لغة : من الفعل عرف يعرف أي إدراك الشيء بحواسه أو بعقله ،و في اللغة الفرنسية connaisance والمعرفة إدراك الأشياء و تصورها[2] ، وهذا الإدراك يكون عن طريق الحواس أو عن طريق العقل وهذه المعرفة تكون مكتسبة عبر الحياة اليومية للإنسان .

و قد جاء تعريف المعرفة في قاموس التربية الحديث، أنها مرادف لمصطلح الدراية من درى يدري، و تعني الدّراية مجموع المعارف المعمقة المكتسبة من قبل الفرد ،و بفضل الدراسة و التجربة و كذلك تعني مجموع المعارف المنظمة و المبنية على مر التاريخ من قبل المفكرين و العلماء[3].

إصطلاحاً : حيث ورد مفهوم المعرفة في المعجم الفلسفي بأنه ثمرة التقابل و الإتصال بين الذات المدركة و الموضوع المدرك ،و تتميز عن باقي معطيات الشعور من حين أنها تقوم في آن واحد على التقابل و الإتحاد الوثيق بين هذين الطرفين [4]، و يعني هذا أن التجربة تساهم في اكتساب المعرفة و العقل يدرك هذه المعارف يصيغها في شكل قوانين معرفية ،ومنه فإن

[1]– الزواوي بغورة ، ميشيل فوكو في الفكر الغربي المعاصر ، دار الطليعة ، بيروت،لبنان ، ط 1 ، 2001 ، ص 20 .

[2]–جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 392 .

[3]– بدر الدين بن تريدي ، قاموس التربية الحديث ، دار رجعي للنشر و الطباعة ، الجزائر ، (د ط) ، 2010 ص 329 ص 180.

[4]– إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص 186 .

"المعرفة ليست كالعلم فالمعرفة إدراك جزئي و العلم إدراك كلي و المعرفة تستعمل في التصورات و العلم في التصديقات[1]" .

ومنه يمكن التفريق بين العلم و المعرفة ، فالمعرفة ليست كالعلم ، العلم تحكمه قوانين أما عن المعرفة فقد تكون معرفة عامية ، وكذلك العلم أشمل من المعرفة فليست كل معرفة علم ، أما عن العلم فهو في حد ذاته معرفة منظمة ،كما يعتبر"جورج كانغيلام" في كتابه تاريخ العلوم و فلسفتها، بأن المعرفة هي بالأحرى الكون المفكر فيه النفس ، أكثر منها النفس المفتكرة للعالم فإن كانت ماهية الكائن هي صورته الطبيعية ، فإن ذلك يؤدي إلى أن الكائنات تكون و لما تكون[2]، فيعتبر أن المعرفة بديهية موجودة في العالم الخارجي من كائنات وغيرها .

وحسب ديكارت المعرفة هي ما يقوم على اليقين فيقول: " فأنت تعرف شيئا إذ تقبلته بوجه الذي نتصور على أنه الحق و كان اقتناعك ثابتاً ... فاليقين هو الأساس الأول لكل معرفة ممكنة ، و بغير اليقين لا يمكن أن يقوم على علم ثابت الأركان "[3]، فيعتبر ديكارت المعرفة أساسها اليقين أي أنه يجب أن تكون كل معرفة يقينية لتأسيس علم ما .

ومنه وجدت نظرية المعرفة التي تعتبر بأنها البحث في طبيعة المعرفة ، أصلها ،قيمتها و حدودها[4] ، وهذا يعني أن نظرية المعرفة تحاول الوصول إلى أصل المعرفة منذ القديم و ذلك لإخضاعها للفحص و التدقيق ، و الحكم عليها من خلال صدقها أو كذبها و من خلال البحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين الذات المدركة و الموضوع المدرك أو بين العارف و المعروف .

---

[1]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 المرجع السابق ، ص 393 .

[2]- جورج كانغيلام ، تاريخ العلوم وفلسفتها ، تر: محمد بن سامي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2007 ، ص 491 .

[3]- نظمي لوقا ، اللّه أساس المعرفة و الأخلاق عند ديكارت ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة،مصر ، (د ط) ، 2003 ، ص 65 .

[4]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 478 .

كما يكتب فوكو في أركيولوجيا المعرفة أنها الإبستيمية كما يطلق عليها ، فيقول عنها "في الواقع نفهم من الإبستيمية مجمل العلاقات التي تربط في وقت معين ، بين الممارسات الخطابية التي تفسح مجالا لأشكال ابستيمولوجية ... إنها مجمل العلاقات التي يمكن اكتشافها بين العلوم في وقت معين[1].

5- العلوم الإنسانية :

لغة : أولاً و في البداية نتطرق لمفهوم العلم لغة ثم ننتقل إلى مفهوم الإنسان :

أ- **العلوم** :وهي مفرد علم ، والعلم نقيض الجهل ، عَلِم عِلماً علم هو نفسه ،و نقول رجل عالم وعليم من القوم علماء ، فبهما جميعاً ، ونقول عَلِمْتُ أُعلمه علماً تعني عرفته[2] ، كذلك العلم إدراك الشيء بحقيقته ،و أيضاً هو مجموع مسائل و أصول تدور حول موضوع معين[3].

ب- **الإنسانية** : هي مفرد إنسان و نعني بالإنسان آدم علية السلام[4] ، و الإنسانية هنا جميع الشعوب أو بنو أدم على مر العصور .

إصطلاحاً :العلم هو الإدراك المطلق تصوراً كان أو تصديقاً يقينياً كان أو غير يقيني ، و قد تطلق كلمة العلم على ما هو به علم و على إدراك حقائق الأشياء و عللها[5]، ومنه نرى أن مفهوم العلم تعلق بإدراك الأشياء في العلم الخارجي، و صياغة القوانين التي تحكم هذه الظواهر و معرفتها ،وهنا يتعلق العلم بالمعرفة لكن العلم أشمل من المعرفة .

ونعني بالعلوم الإنسانية مجموع العلوم المسماة بالعلوم المعنوية وهي تبحث في أحوال الناس و سلوكهم أفراداً كانو أو جماعات ، وتضم العلوم الإنسانية ،علم الاجتماع ، التاريخ و علم

[1]- عبد العزيز العيادي ، المعرفة و السلطة ، المرجع السابق ، ص 16 .
[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، م4 ،المرجع السابق ، ص 3083 .
[3]- ابراهيم مذكور ، المعجم الوجيز ، المرجع السابق ، ص 432 .
[4]- ابن منظور لسان العرب ، م1 ، المرجع السابق ، ص 148 .
[5]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، ص148 .

النفس[1] ، حيث تحاول العلوم الإنسانية دراسة تاريخ الإنسان و الوسط الذي يعيش فيه ، وحتى المشاعر و الأحاسيس التي تنتابه لمحاولة تشخيص الأمراض النفسية التي تصيبه ، فالإنسان لديه ماضي ، حاضر ومستقبل ، من خلال استعمال مجموعة من الطرق لدراسة هذا الإنسان ،و هذه الطرق تسمى مناهج ولكل علم من هذه العلوم منهج يستعمل فيه وقد تشترك في منهج واحد .

كما أطلق الفيلسوف "جون ستيوارت مل" على العلوم الإنسانية اسم علوم الروح، حيث حاول "مل" أن يجدد إمكانيات تطبيق منطق استقرائي على العلوم الأخلاقية كما سماها المترجم ، حيث يبدو جلياً عدم وجود مسألة الاعتراف بأن للعلوم الإنسانية منطقها الخاص[2]، فأطلق على العلوم الإنسانية علوم الروح حيث اقترح ريكمان تعريفاً مبدئياً بأنها دراسات تتعلق بالإنسان ،على الرغم من أن هذا التعريف ليس واضحاً و ليس منهجياً[3] ، وهذه الدراسة التي تتعلق بالعلوم الإنسانية تكون في التاريخ و علم النفس و كذلك علم الإجتماع ، كما يحدد "دلتاي" أن مهمة هذه العلوم فحص خبرات الحياة في كل مظهريها الفردي والاجتماعي[4] ، وهذا الفحص يتم عن طريق مجموعة من العلماء و الفلاسفة و المفكرين التي تكمن مهمتهم في صياغة و تحديد القوانين التي تحكم الفرد و المجتمع .

يوجد تقاطع بين مفهوم العلوم الإنسانية و الأنثروبولوجيا ، و كلمة الأنثروبولوجيا من أصل لاتيني وتنقسم إلى قسمين : **أنثروبو** و معناه الإنسان و **لوجيا** تعني علم ، وعن معناها الاصطلاحي ، هي تاريخ الإنسان الطبيعي ، وعرفها **لاروس** بأنها جميع العلوم المتعلقة بجانب

[1]- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ،المرجع السابق ، ص 101 .

[2]- هانز جورج غادامير ، الحقيقة والمنهج ؛ تر: حسن نظمي و علي حاكم صالح ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع ، طرابلس ،ليبيا ، ط1 ، 2007 ، ص ص 50 51 .

[3]-حسين علي حسين ، فصول في فلسفة العلوم الفيزيائية و الإنسانية ، دار الجوهر للنشر و التوزيع ، مصر ، (د ط) ،2014 ص189 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 194 .

من جوانب الحياة البشرية ، الروح و الجسد و النوع و غيرها من الوقائع التاريخية من علم الأخلاقة و المطلقة و المصالح المادية للإنسان[1] ، وهذه الدراسة للإنسان تكون متعلقة بحياته الثقافية من عادات و تقاليد لدى بعض الشعوب على مر العصور، أما عن الفرق بين هذين العلمين فإن العلوم الإنسانية تقتض دراسة الإنسان دراسة تاريخية وسرد الوقائع الماضية ، و دراسة نفسية لحالته الشعورية و لأمراض النفسية التي تصيب الإنسان أو الفرد ، دراسة اجتماعية من خلال الوسط الذي يعيش فيه و علاقته بالمجتمع .

وهناك تقاطع كبير بين علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا ، فنجد المواضيع التي تتناولها الأنثروبولوجيا قريبة من المواضيع التي يتناولها علم الاجتماع ، فعلم الاجتماع يتناول تكوين المجتمع من جميع جوانبه و البنى التي يتكون منها هذا المجتمع ، ونجد الأنثروبولوجيا تدرس الجماعة البشرية في مجمل تفاصيلها و علائقها ببقية الطبيعة، وتكون هذه الدراسة المتعلقة منذ العصور القديمة، فهي تشمل علم التشريح البشري ، ما قبل التاريخ ، علم الآثار ، الأتنوغرافيا ، الأثنولوجيا ، علم الاجتماع ، الفولكلور ، اللسانيات[2]، هنا يتضح جليا الفرق بين هذين العلمين ، علم الاجتماع هو جزء من الأنثروبوجيا .

6- مفهوم الجينالوجيا:

إن المعنى الحرفي لكلمة جينالوجيا هو دراسة النشأة والتكوين لإثبات النسب ،والوقوف عند الأصل[3]، كما تعتبر كلمة جينالوجيا هي كلمة لاتينية تنقسم إلى قسمين **جينا** وتعني الجنس أو الأصل، و **لوجيا** وتعني العلم، وتعني الجينالوجيا علم الأصل أو علم الجنس ، وهذا ما يؤكده نيتشه في

[1]- كلود ليفي ستروس ، الأنثروبولوجيا البنيوية ، ج2 ، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق، سوريا، (د ط) ، 1977 ، ص 8

[2]- أندري لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 74 .

[3]- عبد السلام بنعبد العالي ، أسس الفكر الفسلفي المعاصر ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء، المغرب ، ط1 ، 1991م ، ص25 .

مقدمة كتابه حيث يقول :"إن الأمر يتعلق هنا بتأملات حول أصل أحكامها الأخلاقية المسبقة" ، بناءا على هذا سيكون المعنى المباشر للجينالوجيا هنا دراسة الميتافيزيقا[1]" ، وقد ظهرت هذه الكلمة أول مرة مع نيتشه فقد حاول دراسة الميتافيزيقا دراسة تاريخية ، أي أصول هذه الميتافيزيقا وقد تأثر ميشيل فوكو نيتشه في موضوع الجينالوجيا ، حيث اعترف فوكو بأن مشروعه استمرار ومواصلة لما قام به نيتشه ، كما يؤكد فوكو في أحد مقالاته بان مصيره الفلسفي كان محدداً بقراءة هايدغر، باعتبار أن هايدغر كذلك تأثر بنيتشه ويضيف مؤكداً:"أنا ببساطة نيتشوي أحاول بقدر الإمكان أن أرى بخصوص عدد من النقاط بمساعدة نصوص نيتشه . ولكن مع ذلك بأطروحات مضادة لنيتشه. ما يمكن أن نعمل في هذا المجال أو ذلك لا أبحث عن أي شيء آخر ، ولكني أبحث عن هذا بحق[2]" .

وهذا ما نراه في فلسفة ميشيل فوكو في الأثر النيتشاوي حاضر في جل أعماله ، سواء من حيث طبيعة الإشكال أو المفاهيم المستعملة ، أو من خلال التحليلات الجينالوجية لقضايا ومشكلات عدة.

وإذا رجعنا إلى مفهوم الجينالوجيا أو المنهج الجينالوجي، تقتصر مهمته الرئيسية في تتبع نشأة التراث الثقافي ، وذلك عن طريق الإحالة دائما إلى شروطه الوجودية وعوامله المصلحية المنتجة له، والكشف عما يسكنه من رهانات ومصالح حيوية[3] ،و هذا التراث الثقافي تكون دراسته عن طريق تتبع هذا المنهج وذلك من أجل كشف الغطاء عما يوجد في هذا التراث الأخلاقي والفلسفي القديم، كما يؤكد نيتشه في تمهيده لكتابه حول الجينالوجيا قوله: "إن موضوع الكتاب هو البحث أن أصل الأحكام المسبقة في ميدان الأخلاق وكذلك بالبحث عن قيمة الأخلاق وأيضا نقد القيم الأخلاقية ودراسة معمقة لتاريخ الأخلاق[4]"

[1]- عبد السلام بنعبد العالي ، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص26 .

[2]- السيد ولد أباه ، الحقيقة و التاريخ عند ميشيل فوكو ، الدار العربية للعلوم ، بيروت،لبنان ، ط2 ، 2004م ، ص74 .

[3]- عبد الرزاق بلعقوز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2010م ، ص220

[4]- عبد السلام بنعبد العالي ، أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص29 .

ويقصد هنا بنقد الأخلاق لاقترانه بالميتافيزيقا ، فالجينالوجيا تأويل للنص التاريخي للميتافيزيقا وهو تأويل يقف عند الأصول و الميتافيزيقا هي التي تستطيع أن تفسر مصير الإنسانية حسب نيتشه.

ونرى أن الدرس الأساسي الذي استخلصه فوكو من نيتشه هو الربط بين تاريخ المفاهيم وتاريخه العقل بتاريخ الجسد، أي الكشف عن الجذور المعيارية للمقولات العقلية، والدوافع النفعية والحيوية حتى أكثرها إيحالا في الصورية والتجريد[1] ، وهذا الكشف يكون عن طريق تتبع مسار تاريخ الأخلاق منذ العصور القديمة حتى و إن كانت غاية في التجديد و التحليل بنوع من الميتافيزيقا.

7- الأركيولوجيا :

لغة: الأركيولوجيا مصطلح يوناني الأصل وينقسم إلى قسمين **Archios** وهي تعني القديم و **logos** وتعني العلم،[2] ومرادف الأركيولوجيا في اللغة العربية علم الآثار أو الحفريات ، ونعني الحفريات في اللغة العربية هي بقايا النباتات أو الحيوانات التي يعثر عليها العلماء في طبقات الأرض مطبوعة على الأحجار والصخور ، أو باقيا هيا كلها في حالة تحجر،[3] فالحفريات أو الأركيولوجيا هي علم يدرس البقايا النباتية والحيوانية من العصور القديمة.

اصطلاحا: أما في المعنى الإصطلاحي فقد ظهرت هذه الكلمة مع الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو في جل مؤلفاته، حيث ألف كتابا خاصا بموضوع الحفريات وهو "أركيولوجيا المعرفة" 1969م ، وهذا المنهج قد استعمله في تحليل الخطاب المعرفي حيث يقول:"و إذا أردنا أن نكون صرحاء مع أنفسنا، قلنا إن الأمور حتى اللحظة، لازالت تعاني من بعض الغموض و الاضطراب ، ذلك أنني كنت أنطلق من قضية بسيطة نسبيا ألا وهي تقطيع الخطاب إلى وحدات كبرى لم تكن لها أي علاقة

[1]- عبد الرزاق بلعقوز ، نيتشه ومهمة الفلسفة ، المرجع السابق ، ص223 .

[2]- عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1992م، ص139 .

[3]- محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، م3 ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت،لبنان ، ط3 ، 1971 م، ص462.

على الإطلاق بالوحدات التي طرحناها موضع سؤال ، وهي الآثار والمؤلفين والكتب والأفكار الأساسية المحورية[1] " ، حيث يتبين لنا في هذا النص أنه أعطى تعريفا للأركيولوجيا أو الحفريات التي استعملها في تحليل الخطاب المعرفي أو التاريخ ، حيث يرى أنه هذه النصوص تمتاز بالغموض ، ويجب تحليلها فيجب تحليل هذه الآثار و قراءة المؤلفات وحتى التعرف على المؤلف وتحديد الأفكار الأساسية في الخطاب.

فالحفريات تفنيدا للحقيقة إنها لا تقيم حقيقة ضد الحقيقة ،وإنما تريد أن تقف عند القواعد التي تتحكم في لعبة الحقيقة ، لذلك فعندما تهتم بالانتظاميات الخطابية فليس من وجهة نظر منطقية، وعندما ينظر فوكو إلى الخطاب من وجهة الحقيقة فلا يميز الكلام الصادق عن غيره وإنما ليقف عند القواعد التي تجعلنا في الصدق[2] ، ومنه نرى أن المنهج الأركيولوجي يسعى إلى الوصول للحقيقة اليقينية التي تسعى لها جميع المناهج في مختلف العلوم ، إن الأركيولوجيا تقوم في الخطاب التاريخي من تحليل وتمحيص للوصول إلى نتيجة يقينية، ويمكن أن نقول أن منهجية النقد الأركيولوجي للخطاب التاريخي تسعى للكشف عن الأسس التاريخية التي تشكلت في ظلها هذه الخطابات ، وذلك عن طريق تحليل الخطاب في مستوى ظهوره وأفوله و اندثاره، حيث يقول في هذا السياق:"هناك استعمال آخر للتاريخ إنه التقويض الدائم لتطابقنا ذلك ، لأن هذا التطابق الوهن بالرغم من كل شيء، والذي نحاول أن نؤمن عليه ونحفظه خلف قناع، ليس إلا افتعالا، فالتعدد يقطنه، ونفوس عديدة تتنازع داخله وأنظمة تتفاوض، ويقهر بعضها بعضا[3]"، ويتضح من خلال هذا النص أنه هناك خلف هذه الخطابات دائما دائما قضايا وحقائق لا نعرفها إلا من خلال استعمال المنهج الأركيولوجي ، فيعتبر أن التاريخ قد يتعارض فيما بينه.

[1]– ميشيل فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت،لبنان ، ط2 ، 1982م ، ص125 .
[2]– عبد السلام بنعبد العالي ، أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص63 .
[3]– عبد السلام بنعبد العالي ، المرجع نفسه ، ص61 .

المبحث الثاني: الفضاء الكرونولوجي للفيلسوف

مشيل فوكو مفكر وفيلسوف فرنسي ولد في 15 أكتوبر عام 1926 م بمدينة بواتييه وتوفي في 25 جوان 1984م في باريس اثر إصابته بمرض الإيدز ، والده كان طبيبا مشهورا كما أنه له أخ طبيب ، نما "ميشيل فوكو" وترعرع في أكناف أسرة ذات سعة وجاه وفرت له كل ما يحتاجه[1]، حصل على شهادة التبريز في الفلسفة ودرس بكلية الآداب في "كليرمون" فران قبل أن يشتغل كرسي تاريخ مذاهب الفكر في "الكوليج دي فرانسس" بباريس كما أنه تقلد منصبا في جامعة ليل ليحاضر في علم النفس ما بين 1953-1954م ، اعتزل فوكو مدة من الزمن عن التدريس، ثم عين سنة 1954م مندوبا عن فرنسا في جامعة أوسالا في السويد[2]، عاد فوكو إلى فرنسا عام 1960 ليحصل على الدكتوراه ويحصل أيضا على شهادة في الفلسفة السابقة الذكر لقد قضى فوكو سنوات عصيبة بمدرسة المعلمين العليا إذ أنه لم يكن شابا سويا أو لين المراس حتى تسهل معاشرته أو مخالطته من قبل أقرانه الذي كانوا يشاركونه السكن والدراسة،[3] لقد تأثر فوكو بعدة مفكرين وفلاسفة من العصر الحديث فقد تعمق كثيرا في قراءته الفلسفية متأثرا في ذلك بأساتذة "هيبوليت عن هيجل إلى قتنته، كما فتنن بدراسة ماركس ثم بعد ذلك بنيتشه الذي كرس له دراسة متميزة ،حيث تعمق في دراسة لبعض الدراسات النفسية و الاهتمام بأخلاقيات الذات وهو ما دفعه إلى دراسة أعمال كل من فرويد و بطاي وبلانشو و كلوسوفسكي ، وجان جينيه وساد[4]، باعتبار أنه قد دخل إلى معالجة في النفس بعد تعرضه لمرض نفسي ، كانت ثمرة هذه الدراسة كتابه الجنون في العصر الكلاسيكي سنة 1961م، وبعده سنة 1963م كتاب ولادة العيادة.

---

[1]- محمد علي الكردي ، وجوه و قضايا فلسفية , دار مطابع المستقبل ، بيروت،لبنان ، الإسكندرية،مصر ، (د ط) ، (د س) ، ص49 .

[2]- جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2006م ، ص469

[3]- محمد علي الكردي ، وجوه و قضايا فلسفية ، المرجع السابق ، ص49 .

[4]- المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

كما عني بقراءاته لـ "ديكارت" و كانط منذ المدرسة الثانوية، ثم تعلق بهوسرل وهيدجر، وقد كان ولعه بهذا الأخير عظيما إلى حد ذهب فيه فوكو إلى تعلم الألمانية حتى يمكنه الاطلاع على نصوص الفيلسوف في لغتها الأصلية[1]، فحاول التعمق في هذه البحث وقد تأثر مع "هيدجر" بفكرة موت الإنسان التي طرحها نيتشه ثم تلاه "هايدجر" إلا أن تأثير "نيتشه" كان هو الغالب في النهاية فهتم بقضايا السلطة وعلاقات القوة وعمليات بناء الذات عنده، ومع أنه تأثر "بنيتشه" إلا أنه لم يطلع على مؤلفات بنيتشه حتى سنة 1970م، ففي بداية حياته العلمية والتعليمية فقد عني بالدراسات النفسية والنفسانية وذلك للاحتذاء بمعلمه ألتوسير ،الذي تمخض على ذلك التعمق في هذه الدروس وكانت أول محاضرة عنوانها المرض العقلي والشخصية سنة 1954م التي عد لها فيما بعد تحت عنوان المرض العقلي و علم النفس 1962.[2]

كما طرحت أبحاث ميشيل فوكو الفلسفية كانت حول الذات والأخلاق ،السلطة ،العنف ،الحرية وقد درس موضوع التاريخ ،فقد حاول فوكو إحداث قطيعة مع العلم القديم ،وذلك من خلال أحداث ثورة في المنهج وفي الكتابة التاريخية ،حيث يركز على الانتقال من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الصناعية الحديثة، وتهتم بنوع خاص بأشكال المعرفة المفترضة العلمية في علاقاتها بأنماط، التنظيم الاجتماعي التي تصير حديثة[3]،وذلك بخصوص المنهج الأركيولوجي الذي تحدث عنه في معظم كتاباته وهذا ما نجده في كتابية الكلمات والأشياء و أركيولوجيا المعرفة، وكذلك خصص لها عدة فصول في معظم مؤلفاته حيث اعتبرت الأركيولوجيا نقطة الإبداع القصوى في الفلسفة الفوكاوية.

كما تأثر فوكو بالبنيويين وكان شديد التأثر بنيتشيه و لاسيما في منهجه الجينالوجي في كتابة الكلمات و الأشياء 1966م، حيث ركز في هذا الكتاب إلى الإشارة في قراءته للمشروع الثقافي الغربي وهو وثيقة لدلالة الأركيولوجيا الغربية ولقد لقي هذا الكتاب صدى واسع في المحيط الفرنسي،

[1]- محمد علي الكردي،وجوه وقضايا فلسفية،المرجع السابق،ص50.

[2]- المرجع نفسه،ص52.

[3]- بول فيين،أزمة المعرفة التاريخية،المرجع السابق،ص 5.

ووجهت له العديد من الانتقادات، فحقق مبيعات خيالية ومع ذلك فإن فوكو سوف يرفض بطريقة قاطعة في كتابه أركيولوجيا المعرفة 1969 انتماءه المزعوم إلى البنيوية[1]، فأسس في هذا الكتاب ما أسماه بالمنهج الأركيولوجي أو الحفري فاستعمل هذه الكلمة بكشف عن طريقها أسرار أرشيف تآكلت كتبه وطمست حقائقه لأن الأرشيف مجال موضوعي ولاشعوري في الوقت ذاته، يمكنه أن يصل إلى الحقيقة البينية المتضمنة فيه بأقل الانحرافات المنهجية[2]، فالتاريخ خلفه حقائق مختلفة عن التي نعرفها عنه فلذلك يجب التحقق من هذه الأحداث بالتنقيب والحفر خلف هذه المصادر للوصول إلى الموضوعية وكذلك الوصول إلى اليقين.

انتقل فوكو في مسيرة حياته إلى التدريس في الجامعة التونسية سنة1966، فمكث فيها مدت عامين في قسم الفلسفة فاستطاع أن يقدم إلى التونسيين تصورات ديكارت ونيتشه و هوسرل، ولكن بعد اندلاع الثورة الطلابية في فرنسا ثم تلتها في تونس ضد نظام حكم بورقيبة سنة1968، وعلى الرغم من أن فوكو لم يكن متعاطفا مع القضايا العربية إلى أنه تعاطف مع الطلاب التونسيين الذين تعرضوا للضرب والاعتقال والتعذيب، فيخرج بدرس جديد ألا وهو أهمية الإديولوجيا السياسية ودورها الأساسي في تحريك الجموع الثائرة.

ولكن بعد عودته إلى فرنسا في نفس السنة أكمل كتابة حفريات المعرفة ،حيث قدم ردا على منتقديه، ثم أصبح أول عميد لقسم الفلسفة في جامعة جديدة في "فنسن"، لم يدم طويلا في هذا الكرسي ولكنه انتخب ليحتل منصبا في أهم هيئة أكاديمية في فرنسا "الكوليج دي فرانس"كبروفسور "تاريخ نظام الفكر[3]"، وكان فوكو بعد إلقاء خطابه الافتتاحي المرموق الذي نشر تحت عنوان نظام الخطاب 1980 ،تقديم الخطوط العريضة للبرنامج التعليمي الذي يود انجازه خلال السنوات التالية حيث يبين أن الخطاب المعرفي يشتمل على آليات ضبط وإقصاء

[1]- محمد على الكردي،وجوه وقضايا فلسفية،المرجع السابق،ص58.

[2]- عمر مهيبل،من النسق إلى الذات،الدار العربية للعلوم ناشرون،الجزائر،ط1، 2007م،ص40.

[3]- محمد علي الكردي،وجوه وقضايا فلسفية،المرجع السابق،ص60.

تحتاج إلى فهمها وتفسيرها إلى منهج نقدي وذلك إلى منهج جينالوجي[1]، وهو ما يؤدي إلى تحقيق العلاقة بين القوة و السلطة والخطاب فحاول توسيع أبحاثه في مجال الخطاب بحثا عن أنواعه.

ونرى "فوكو" ينخرط بعد ذلك مع "جان جنيه" في حركة نظام غايته ضد العنصرية على إثر مقتل عامل جزائري على أيدي الشرطة نفسها في قسم من أقسام البوليس عام 1972،حيث شارك فوكو في عدة حركات نضالية مع أغلبية المتطرفين،فكان يكن العداء الشديد للشيوعية و الماركسية[2].

نشر فوكو كذلك كتاب"المراقة والمعاقبة" نشأة السجن في 1975، ثم بدأ يعلن رغبته في كتابه دراسة مطولة عن تاريخ الجنس متأثرا بذلك "بجورج بطاي" وكذلك "ماركيوز" وبعض علماء النفس الثوريين ،ساعيا بذلك تحرير الإنسان عن طريق تحرير الجنس ،فكانت نظرة "ماركيوز" للجنس تشكل "تابو" وعمل على قمع وكبت حريتهم في تحقيق رغباتهم الجنسية[3]. فتناول في كتاب تاريخ الجنانسية إلى تأصيل للشذوذ وعلم الجنس وغيرها من المباحث التي تتطرق إلى أهم موضوعات الجنس.

ففي سنة 1978 ذهب فوكو إلى إيران بعد التظاهرات التي شهدتها البلاد في ذلك الوقت،حيث كتب سلسلة من المقالات عن الثورة، يعتقد الكثيرون في الغرب بأن كتابات فوكو حول إيران كانت زلة أو خطأ سياسيا، وأنه تحمس أكثر مما يجب للنظام الإسلامي، ولكن ما خلص إليه ميشال فوكو أن كل الثورات تؤدي العنف وتنتهي إن كان حليفهما التعصب الديني وتقود إلى التخلص و الاستبداد و الجمود وهذا ما كان بالنسبة للثورة الإيرانية التي كانت وابلا

[1]- محمد علي الكردي،وجوه وقضايا فلسفية،المرجع السابق،ص61.
[2]- المرجع نفسه،ص،ص 64-65.
[3]- المرجع نفسه،ص66.

على المنطقة كلها[1]،سافر فوكو في آخر حياته إلى أمريكا فالتقى" ببركلي" فانصرف إلى الاهتمام بقضايا المنطق وعلوم اللغة وانصرافه عن التأملات الأخلاقية و الذاتية. لكن هذا الترحال لم يدم طويلا فرجع إلى وطنه حيث خلال شهر يونيو 1984 أصيب بآلام مبرحة نقل على إثرها إلى مستشفى "لاسبلتربار".حيث لفظ أنفاسه الأخيرة في 25 يونيو 1984 متأثر بإصابته بمرض الإيدز.

ومن أهم مؤلفاته إجمالا:

- تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي:1961م.
- المرض العقلي وعلم النفس 1962م.
- نشأة العيادة 1963.
- الكلمات والأشياء 1966م.
- أركيولوجيا المعرفة 1969م.
- نظام الخطاب 1970م.
- المراقة والمعاقبة 1975م.
- تاريخ الجنس 1984م .
- استخدام الملذات 1984م .

كما قدم عدة دروس في "الكوليج دي فرانس "جمعت في كتاب أسماه "هم الحقيقة".

[1]- محمد على الكردي،وجوه وقضايا فلسفية، المرجع السابق،ص67.

المبحث الثالث:

فلسفة فوكو وعلاقتها بفلسفة العلوم:

اتخذت فلسفة فوكو طريقا خاصا بها ،حيث لم يتناول فوكو إشكالا أو موضوعا واحدا بل تعدى ذلك لعدة مواضيع فلم يستطع المفكرين تصنيف فكر فوكو في مجال محدد فلم يعتر لا عقلانيا ولا وجوديا ولا مثاليا وإنما جمع عدة صفات في فكره وفي هذا المبحث نتناول فلسفة فوكو وعلاقتها بفلسفة العلوم فتحدد المواضيع التي تناولها حيث نرى أنه تناول مواضيع عدة ،ففي بداية حياته الفكرية اهتم بعلم النفس وذلك من خلال كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" ، وكذلك كتابه "ولادة العيادة" فهو يدرس موضوع الجنون، فيتحدث عن الطب العقلي والسيكولوجيا والتحليل النفسي وكل الأشكال العلاجية التي أعقبت العصر الكلاسيكي معلنة عن ميلاد المجنون المريض، الذي سيخلف المجنون والوحش والشاذ، تماما كما سيخلف المارستان والعيادة دور الحجز والمستشفى العام[1]، وهذا يعني انه حاول دراسة الطب النفسي دراسة فكرية قاصدا بذلك معرفة عالم غريب هو عالم الجنون .

كما درس تاريخ هذه الأمراض بداية من العصر الكلاسيكي والعصر الذي سبقه، حيث أعطى التعبير الحقيقي للجنون، وحقائق هذه العوالم أطول عمرا و أشد وقعا من حيثيات المرض و أعراضه فهي غير ثابتة الحدود والمعالم والمعارف[2]، هذا يعني أن الحياة في مستشفى المجانين مطلقة الحدود فهي تزخر بمعارف لا نكاد ندركها.

كما تأثر فوكو بمجموعة من المحللين النفسانيين أمثال" فرويد" و"بطاي" و"بلانشو" و"كلوسوفسكي" و "جان جنيه" و"ساد" ،والجدير بالذكر أنّ اهتمامات فوكو بعلم النفس كان يغلب عليها، ليس الطابع الإكلينيكي وإنما الاتجاه الوجودي الذي لا يعترف به علماء النفس

[1]- ميشيل فوكو،تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي،تر:سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1، 2006م ،ص11.
[2]- المرجع نفسه،ص13.

المتخصصون ويعتبرونه نوعا من الثرثرة الفلسفية[1]،كما أضاف وجهة نظره من خلال دراسته للتحليل النفسي عند فرويد حيث يرى في هذا التحليل الفرويدي وفقا لكلامه عن ذوبان الإنسان فيه إذ لم يقترب التحليل النفسي من تحليل الوجود البشري، بمعنى كل ما يخص الموت ورغبة القانون وغيرها، إذ أنّ فوكو في إفصاحه للوهلة الأولى عن أحكام وآراء متعارضة حول التحليل النفسي لا يقع في حالة تناقض مع نفسه بقدر ما يدافع عن مبادئ البنيوية[2] ،وذلك لأن التحليل النفسي يقوم على إظهار النشاط البشري عكس ما تنادي به البنيوية، فهو يقوم على التجربة القائمة بين المحلل النفسي والمريض.

أما الدليل القاطع على نقد فوكو للتحليل النفسي فيظهر فيما يلي: القضية تقوم على أن التحليل النفسي لا يمكن أن يتطور كمعرفة افتراضية تأملية صافية أو نظرية عامة عن الإنسان، فهو غير قادر على التقاط كل التصورات والإشارات إلى ما هو رئيسي على البقاء، علما تجريبيا قائم على أساس الملاحظات الدقيقة،[3] ومن هنا يؤكد فوكو على أن التحليل النفسي عند فرويد يقتصر على التجربة فقط فهو غير قادر على الإلمام بكل الجوانب التصورية الخاصة.

كما تطرق فوكو إلى موضوع التاريخ وكانت له عدة تفسيرات خاصة به في هذا العلم،حيث اعتبر أن التاريخ يقع داخل الكلمات وهذا ما نجده في كتابيه "الكلمات والأشياء "و "حفريات المعرفة" ، فيقول عن التاريخ "كان التاريخ في ثوبه التقليدي ، يسعى إلى أن يجعل من منصب الماضي وأثرياته ذاكرة ويحولها إلى وثائق ،ويحث تلك الآثار على التكلم تلك الآثار التي غالبا ما تكون خرساء"[4] يبين لنا من خلال هذا القول بأنه التاريخ التقليدي أو القديم يصف الوقائع ولا يسعى لأن يبحث خلف هذه الآثار ويحللها تحليلا دقيقا ويضيف القول:"أما التاريخ اليوم فإن

[1]- محمد علي الكردي،وجوه وقضايا فلسفية،المرجع سابق،ص51.

[2]- لينين فاليري،فرويد والتحليل النفسي،تر: زياد الملا،دار الطليعة الجديدة، سوريا،ط1، 1997م،ص196..

[3]- المرجع نفسه،ص196.

[4]- ميشيل فوكو،حفريات المعرفة،تر: سالم يفوت،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،ط2 ،1987م،ص9.

هو ما يحول الوثائق إلى نصب أثرية ويعرض كمية من العناصر التي ينبغي عزلها والجمع بينها وإبرازها والربط بينها وحصرها في مجموعات[1]"،ويعني بهذا يجب أن نستعمل المنهج الأركيولوجي أو الحفري الذي جاء به للتحقق من هذا التاريخ فهو يعتبر أن الحفريات في القديم كانت تدرس النصب الأثرية والتعرف كيف كانت فقط، إذ يقوم فوكو بشرح كامل للتاريخ الكلاسيكي الذي يهدف أو يرمي إلى إثبات العلاقات التي تربط بالوقائع والأحداث في زمن ما،"إن مفهوم الانفصال الذي أصبح يحتل مكانة كبرى في فروع المعرفة التاريخية ذلك أن التاريخ في ثوبه الكلاسيكي كان يفترض الانفصال معطى لكنه غير قابل لأن يفكر فيه، إنه يظهر في صورة أحداث مبعثرة... وما كان ينبغي الإحاطة به عن طريق التحليل بغية إلغائه ومحوه وإقصائه كي يظهر اتصال للأحداث"[2]، وهنا كذلك يؤكد على أحداث قطيعة بين التاريخ القديم لأنه يعتبره منفصل عن الأحداث الذي يرويها وهو يريد تأسيس لتاريخ متصل عن طريق الإحاطة بجميع الأحداث التي تظهر الاتصال ببعضها البعض.

وفي موضوع السلطة تحدث فوكو عن كيفية الكشف عن مختلف آلياتها وتجاوزاتها في مختلف المجالات سواء كانت مؤسسات أو نظريات لأن كل ذلك له علاقة وثيقة بالبعد السياسي ، لأجل تحقيق مشروع ايديولوجي معين ،فهو يعتبر أن السلطة هي كل علاقة قوى والسلطة عقده ليست شكلا كشكل الدولة مثلا وليست علاقة بين شكلين كالمعرفة. ويعتبر فوكو مثله مثل "نيتشه "و"ماركس"، حيث يرى أن علاقة القوى تتعدى العنف ولا تنحصر فيه أو تتحد به[3] ،وكما أنه بحث في أصل المعرفة في كونه مهتم بالتاريخ حيث يطرح عدة تساؤلات منها كيف تظهر السلطة ؟ بل كيف تمارس وكيف يحدث الأمر عندما يمارس أفراد سلطتهم على آخرين[4] فحاول فوكو الكشف عن مختلف الآليات السلطوية ومدى خدمة الخطاب للسلطة. فمتابعة

[1] – ميشيل فوكو،حفريات المعرفة،المصدر السابق،ص9.

[2] – ميشيل فوكو،الكلمات والأشياء،تر:مطلع صفدي وآخرون ،مركز الإنماء القومي،بيروت،لبنان،(دط)،1989م،ص25.

[3] – جيل دولوز،المعرفة والسلطة عند فوكو،تر: سالم يفوت،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط1، 1987م،ص85.

[4] – عبد العزيز العيادي،المعرفة والسلطة،المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت،لبنان ،ط1، 1994،ص61.

السلطة في أدق جزئياتها وتفاصيلها يخلص البحث من زخم التنظير السياسي، والتشميل المذهبي، والتبشير الخلاصي الذي يجعل الدولة مجال التسلط والمجتمع مجال التحرر[1]،فالدولة ترتبط بالسلطة والسلطة كذلك والمجتمع عليه تحقيق الحرية ففوكو يصف مواقع وجهات ويعين مراكز ويقترح فرضيات عمل وتجريب فهو يتعامل بصبر كادح مع الجزئيات وتحديد البؤرة والعلاقات، السياقات، مجالات الصراع ،الرغبة ،التداول والمواجهة، وهو تعامل يحث على بحث موضوعية السلطة نقديا[2] ،فنرى هنا أن فوكو يتطرق لأبسط الجزئيات في الخطاب السلطوي لمعرفة أشكال وعلاقة السلطة في المجتمع ومدى تحقق الحرية في هذه المجتمعات أو هناك تسلط من الدولة على المجتمع وينتقد السلطة في مجالها الموضوعي. وكان فوكو هنا موقفه موقف نقدي محض يسعى من خلاله إلى إصلاح النظام السلطوي في الدولة.

حيث هذه الحقول الثلاث التي تحدثنا عنها سابقا ستشكل المحور الأساسي والجوهري الذي ارتكزت عليه المعرفة في العصر الحديث فرغم اختلاف مجال كل واحدة منها، إلا أنها تجتمع في كونها تتجه لدراسة الذات.

بعد انزياح التمثيل عن الساحة المعرفية عوض بنموذج مغاير، وهو فقه اللغة أو الفيلولوجيا، وهو نتيجة حتمية للتغيرات الذي طرأت على مستوى التحليلات اللغوية فنتيجة الإفرازات الإعرابية التي أثرت بشكل كبير على النحو العام، تغير المجال والوظيفة اللغوية ، فيقول فوكو"فلم تعد تتكون من تمثيلات فحسب ، أو أصوات تمثل بدورها تلك التمثيلات وتنتظم فيما بينها انتظاما تستلزمه متطلبات التفكير وأشكال تسلسله، بل أضحت إلى جانب ذلك تتكون من عناصر تمثيلية، مجتمعة في منظومة تفرض على الأصوات والمقاطع والجذور، نظاما ليس هو نظام التمثيل[3].

[1]- عبد العزيز العيادي ،المعرفة و السلطة، المرجع السابق،ص63.

[2]- المرجع نفسه،ص63.

[3]- ميشيل فوكو،الكلمات والأشياء،المرجع السابق، ص203.

وانطلاقا من هذا صارت اللغة تعرف بحسب بنيانها الداخلي ونظامها الإعرابي فأخذت لغة الإبستيمي الحديث تتميز بصفاتها الخاصة، لأنها اتصفت بربط العناصر الكلامية للغة، في شكل تركيب من أفعال و أسماء وأصوات لتأليف جمل، إضافة إلى ميزتها الإعرابية.ومن ثم فوكو يصنف النظم المعرفية الى قديمة وحديثة ومتقدمة ومبكرة ،متجنبا تحديد التواريخ الزمنية لأنها بهذا المعنى، ليست مهمة ومن ثمة يتحدد مفهوم النظام المعرفي عنده بأنه وسيلة نظرية يمكن بواسطتها بلورة مجموعة من الأفكار حول الخطاب المعرفي[1]،وتجدر الإشارة إلى أن أهم علاقة ناتجة عن الابستيمي الجديد، الذي عرفه العصر الكلاسيكي.

كما يكتب فوكو عن الإبستيمولوجيا وذلك من خلال كتابه أركيولوجيا المعرفة حيث يقول" في الواقع نفهم بالإبستيمية مجمل العلاقات التي قد تربط في وقت معين، بين الممارسة لخطابته التي تفسح مجالا لأشكال إيستمولوجية وللعلوم ،وعند الاقتضاء لأنظمة معقدة... الابستيمية ليست نوعا من المعرفة أو نمطا من العقلانية يعبر باجتيازه العلوم الأكثر تنوعا عن الوحدة المطلقة لموضوع ما ، لعقل ما أو لعصر ما، إنها مجمل العلاقات التي يمكن اكتشافها بين العلوم في وقت معين، عندما نحللها على مستوى الانتظامات الخطابية[2].

ففوكو يفتح بابا جديدا لظهور ابستيمي جديد للعصر الحديث حاملا بين طياته مقولات في أثواب جديدة، إن هذه الإشكالية التي طرحها فوكو حول الابستيميولوجيا ستكون المنطلق الأساسي في الخلفية المعرفية والأسس التي تكونت ونشأت في ظلها المعرفة الحديثة التي تبدأ أساسا باضمحلال نموذج التمثيل، الذي طبع المعرفة الكلاسيكية، فقد سبق لفوكو أن كتب بخصوص القرن السادس عشر"أن نعتقد بيسر أنّ المعارف العقلية والأفكار المتأتية من الممارسات السحرية

[1]- حمودة سعيدي،الخطاب الابستيمولوجي في الفكر الفلسفي المعاصر،لنيل دكتوراه دولة،جامعة الجزائر ،2002-2003،ص162.

[2]- عبد العزيز العيادي،المعرفة والسلطة،مرجع سابق،ص16.

ومن إرث ثقافي..." حيث يعتبر فوكو أن الابستسمية ليست قاعدة معيارية أو جردا شموليا لطرق إنتاج المعارف بل هي الأساس لكل علم ممكن[1].

و وأهم ما طفا على سطح المعرفة في الإبستيمي الحديث بروز مفهوم العلوم الإنسانية التي ستعمل على تغيير حقيقة الذات الإنسانية،موجهة دراستها إلى أبعاد الإنسان المختلفة النفسية و الاجتماعية والتاريخية والمعرفة كما يقول فوكو أن تنشأ على تربة جديدة،حيث يطرح سؤالا مفاده كيف تبدلت فجأة وعلى نحو غير مرتقب ، القواعد الإبستمولوجية؟[2]

تتمثل في بروز علاقة النص بالتأويل الذي كان من المميزات الأساسية لعصر النهضة معناه سيتغير في العصر الكلاسيكي.

نستنتج من التحليلات السابقة أن الأثر البنيوي جد واضح في التحليلات الفكرية. من خلال الاعتماد على تحليله اللغة في كل عناصرها وجميع أجزائها وتجلياتها ، لأن الموضوع الأساسي للأركيولوجيا كما حدده فوكو يتمثل في البحث عن صلب المعرفة من خلال تشكلاتها والصيغ الأنطولوجية للموضوعات التي تنتجها، ويكون ذلك بتحديد أنساق التزامن والسلسلة الكبرى بلا انقطاعات والفواصل الضرورية لكل ابستيمية مرت بها الحضارة الغربية،فيعد عصرا لنهضة العصر الكلاسيكي سيوجه فوكو آلية النقد الأركيولوجي نحو العصر الحديث، هذا الابستيمي الذي سيشهد لحظة أفول الذات ووجدها بين خطاب العلوم الإنسانية ومقولاته، فإن كان "نيتشه" قد تنبأ سوبرمان بحكم العالم فإن فوكو سيعلن وفاة هذا الاختراع الحديث العهد، حيث يرى فوكو أن الإنسان اختراع تظهر أركيولوجيا فكرنا بسهولة حداثة عهده، وربما نهايته القريبة[3].

[1]- عبد العزيز العيادي، المعرفة و السلطة،المرجع السابق،ص17-18.

[2]- ميشيل فوكو،الكلمات والأشياء،المصدر السابق،ص 189.

[3]- المصدر نفسه ،ص313.

وعن الابستمولوجيا يقول فوكو عن نفسه أنه "أول من برهن على وجود ترابط إبستمولوجي عميق بين مختلف أنواع المعارف السائدة في فترة نسبية معطاة وفي عصر معين[1]"وذلك من خلال اهتداءه إلى فكرة الجديد في تاريخ المعارف والعلوم، وألهمته بفكرة أطروحة جديدة حول نشأة المعارف والعلوم وتعد الموضوع المركزي للكلمات والأشياء.

كما نستطيع القول بأن فوكو اعتمد بصفة خاصة على نموذج معين من تاريخ وفلسفة العلوم الحديثة[2]،حيث يربط فوكو بين الإبستيمولوجيا والأركيولوجيا، فحدث تحول أساسي بين الأركيولوجيا والإبستيمولوجيا ومن خلال تحليل قراءات فوكو بين الابستمولوجيا والأركيولوجيا حدث تحول أساسي بين الأركيولوجيا و الإبستمولوجيا،ومن خلال تحليل قراءات فوكو حول الأركيولوجيا حيث أن هذه التحليلات لا تنصب على ميدان العلم بالمعنى المتعارف عليه كما هو الشأن بالنسبة الابستيمولوجيا، بل أن المنطقة التي تحددها الأركيولوجيا تشمل فقط ميدان لمعارف المنشأة حول الإنسان عكس الايستمولوجيا ، فتختلف عن تلك التي توجه الإبستمولوجيا.

فهو بين أن الأركيولوجيا لا تطمح إلى تقديم نظرة جديدة للمنهج العلمي لأن المعرفة تنحل في نظرها وتتفكك في بنيات إبستيميات تتعاقب بدون ضوابط،وكذلك بدون تواصل والأركيولوجيا ليست لها مطامع أو تطلعات علمية وقد كتب في هذا السياق "...إنني لم أقدم أبدا الأركيولوجيا لعلم ولا كأسس أولى لعلم قد ينشأ في المستقبل[3]"

ومن خلال هذا القول تفهم أن أركيولوجيا فوكو تحاول أن تقدم تصور جديد للمعرفة يرفض فيه التمييز التقليدي بين العلوم والمعارف غير العلمية ، حيث أن الحقيقة في نظره لا تعود إلى مراجعة المعارف وتقينها وتعديلها ، بقدر ما تتعلق بتنظيم معين للخطابات المعرفية في فترة تاريخية معينة بواسطة اللغة.

[1]- عبد الرزاق الدواي،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،المرجع السابق،ص142.

[2]- المرجع نفسه،ص145,

[3]- المرجع نفسه،ص146.

ولقد حاولنا تحديد الفرق بين الإبستيمولوجيا والأركيولوجيا وذلك من خلال الدلالة التي يعطيها فوكو لمصطلح الإبستيمي في كتابه الكلمات والأشياء فنستنتج أن الأركيولوجيا عنده ليست لها علاقة بفلسفة العلوم أو الإبستيمولوجيا.

الفصل الثاني:فلسفة فوكو والتأصيل لمنهج علمي:

المبحث الأول : خصائص الظاهرة الإنسانية عند فوكو

إن طبيعة العلوم الإنسانية مختلفة عن الكائنات الأخرى فالعلوم الطبيعية مثلا تتخصص وتستقل عن غيرها وذلك بما تحرزه من تقدم،فمن الممكن أن يدرس الموضوع في العلوم الطبيعية من عدة جوانب كل على حدة، وهي تعبر في ذاتها عن حاجات مختلفة أو عن أساليب عملية متباينة،فكما إنّ الحجر يمكن أن يدرس من وجهة النظر الجيولوجية، أو الطبيعية الكيميائية ،كذلك يمكن دراسة الإنسان باعتباره كائنا عضويا أو شخصية محركة للتاريخ ، أو فردا في المجتمع[1].

أما فوكو يعتبر العلوم الإنسانية جاءت نتيجة ظروف ملحة لدراسة الإنسان فيقول "فأصبح الإنسان المنطلق الذي تتشكل اعتبارا منه كل معرفة في بداهتها الفورية البعيدة عن كل تساؤل ،وصار الإنسان هو المخول بطرح كلّ معرفة تتعلق بالإنسان والبحث فيها[2]، فأصبح دور الإنسان أن يبدأ من نفسه "الإنسان" ثم ينطلق إلى العالم الخارجي ، فالعلوم الطبيعية تدرس الكائن سواءاً كان حيوانا أو نباتا على أنه مادة يجب إخضاعها للتجربة،ونظرا للمناهج التي طبقت منذ القديم في عملية استقصاء المعرفة أو الحقيقة كانت تحاول الوصول لهذه الحقيقة اليقينية، ففي بداية الفلسفة في العصر اليوناني كان ظهور المنهج التجريبي الاستقرائي مع أرسطو وظل مستمرا عند المسلمين كما نراه مع الحسن بن الهيثم ثم انتهى إلى فرانسيس بيكون وجون ستيوارت ميل من أتباع الوضعية المنطقية. وبلغ الذروة عند فلاسفة المنهج في القرن التاسع عشر ثم سلمه الوضعيون المنطقيون منذ كارتا إلى راسل ، فتكلموا عن مسلمة الاستقراء واستبعاد الفروض وتدخل الاحتمالات واستحالة التنبؤ في مجال التاريخ وتعذر الوصول إلى قوانين تامة مفسرة للطبيعة فنرى أن هؤلاء قد نادوا إلى إخضاع الإنسان إلى هذا المنهج واستعماله في جميع فروع العلوم الإنسانية

[1]- بول موي،المنطق وفلسفة العلوم،تر: فؤاد حسين زكرياء،دار النهضة،مصر،(دط)،(دس)،ص 229.

[2]- ميشيل فوكو،الكلمات والأشياء،المصدر السابق،ص284.

بعد أن نجح في العلوم الطبيعية مع أتباع مدرسة الوضعية المنطقية المتأخرين عند "إير"[1] ، وكذلك حاول بعض العلماء إلى تطبيق المنهج الاستنباطي في العلوم الإنسانية وبعض المناهج الأخرى مع فلاسفة آخرين إلا أنّ العلوم الإنسانية ظلت في حالة عدم استقرار من حيث المنهج فاختلفت المناهج بحسب الفروع في العلوم الإنسانية فاستخدموا المنهج الإسترادادي في التاريخ والتحليل النفسي في علم النفس،وكذلك منهج تحليل المضمون أو المنهج الكمي الذي يعتمده علم الإحصاء.

وإذا حاولنا الرجوع إلى فوكو في مجال تطبيق المنهج في العلوم الإنسانية عنده فإنّه يحاول إحداث ثورة من خلال ابتكار منهج جديد ألا وهو المنهج الأركيولوجي الذي حاول تطبيقه في جميع فروع العلوم الإنسانية من تاريخ وعلم النفس ، حيث يقول عنه " وأعمل على إبراز خصوصية منهج ليست صياغا صوريا وتأويلا ، لقد استنجدت إجمالا، بجهاز كامل لاشك في أن بلادته وتفاهة أبياته توقعان في الحيرة والارتباك[2]"، فكان يستعمل الحفريات من أجل التنقيب وراء الأحداث وتقطيعه إلى وحدات كل ذلك من أجل الوصول إلى حقيقة يقينية حيث استحدث قياسات وتقديرات جديدة لا مثيل لها في الدراسات السابقة.

وعن الخصائص التي تميز العلوم الإنسانية عند فوكو فهو يفسر صعوبة العلوم الإنسانية وعدم ثباتها وعدم ثقتها كالعلوم الطبيعية و أنقذها الخطرة مع الفلسفة أي أنه لا يمكن أن نفصل العلوم الإنسانية عن الفلسفة وكذلك عدم استنادها بشكل غير محدد تماما إلى مجالات معرفية أخرى، وطابعها الثانوي والمشتق بالرغم من إدعائها بالشمولية[3]، فهو يبين أن هذه العلوم التحليلات التي تكون يغلب عليها الطابع الميتافيزيقي فهي لا يمكن أن ترتقي إلى مصاف التشكيل

[1]- محمد علي أبوريان،أسلمة المعرفة،العلوم الإنسانية ومناهجها،من وجهة نظر إسلامية،دار المعرفة الجامعية،مصر،(دط)،1997، ص246.

[2]- ميشيل فوكو ،حفريات المعرفة،المصدر سابق،ص125.

[3]- المصدر نفسه، ص286.

الإبستيمولوجي لأنه بالغ التعقيد، حيث يرى فوكو أن الإنسان ابتكار حديث العهد، تحقق ظهوره على اثر تحول مفاجئ حصل في الأجهزة الأساسية للمعرفة في القرن التاسع عشر[1]. وهذه العوائق أو المشكلات التي تحدّث عنها فوكو من خلال كتابه "الكلمات والأشياء" إنما هي دليل على رفض قاطع للعلوم الإنسانية حيث اعتبرها لا ترتقي إلى مصاف العلوم عقلية الأخرى فيصرح أنّ بروز الإنسان ونشوء العلوم الإنسانية، مرتبطا يمكن وصفه بنزع الصفة الرياضية أو تقليصها من حقول العلوم الإنسانية[2]،فحاولوا تحليل المعارف الإنسانية تحليلا رياضيا ولكن هذه المحاولات بدأت تتقلص لأنها لم تجد نفعا في هذا المجال .

كما يوجه فوكو نقدا للعلوم الإنسانية حيث يقول إن الثقة بالدراسات الإنسانية إنما تضر بالفكر لأنّها تصيبه بنوم[3]. كما يفسر الصعوبات التي تواجهها العلوم الإنسانية بتعقد موضوعها و كثافته ، أو اتصافها بطابع ميتافيزيقي أو استنادها إلى موجود زئبقي لا يكف عن العلو على نفسه كل هو تعقد التنظيم الإبستيمولوجي الذي توجد في إطاره من جهة طبيعية العلاقة التي تربطها فالأبعاد الثلاثة المكونة لصميم مجالها من جهة أخرى.[4]

حيث يقول فوكو عن العلوم الإنسانية" إنّ الإنسان بالنسبة للعلوم الإنسانية ليس ذلك الحي الذي يتميز بمظهر معين وتركيب فيسيولوجي خاص وتفرد في المبدأ والاستقلال، إنه ذلك الحي الذي يكون من خلال حياته إلى تكشفه تمثلات يعيش بفضلها، كما أنه يمتلك بفضلها أيضا تلك القدرة العجيبة التي تمثل الحياة بكفاءة[5]" حيث أن الموضوع العلوم الإنسانية إذن ليس اللغة، بل هذا الكائن الذي يتمثل في أحاديثه معاني الكلمات أو القضايا التي وصيغها ثم ينتهي به

[1]- عبد الرزاق الدواي،موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر،المرجع السابق،ص167.

[2]- ميشيل فوكو،الكلمات والأشياء،المصدر السابق،ص287.

[3]- عبد الوهاب جعفر،البنيوية بين العلم والفلسفة،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،مصر، (دط)،2013م،ص282.

[4]- المرجع نفسه،ص 287،

[5]- المرجع نفسه،ص301.

المطاف بأن يتمثل اللّغة ذاتها،ويتضح مما تقدم أنّ العلوم الإنسانية ليست تحليلا لطبيعة الإنسان بل هي تحليل مبتدئين الماهية الوضعية للإنسان وبين ما يسمح له بمعرفة معنى الحياة وماهية ، العمل وقوانينه والطريقة التي يتحدث بها كما يتضح أن العلوم الإنسانية تحتل تلك المسافة التي تفضل البيولوجيا والاقتصاد والفيلولوجيا عن شرط إمكانها في كينونة الإنسان ذاته.

ولهذا يرى فوكو أنه لمن الخطأ أن نجعل العلوم الإنسانية امتدادا للآليات البيولوجية أو أن ندخل علوم الاقتصاد واللغة ضمن نطاق العلوم الإنسانية خصوصا وأن الاتجاهات المعاصرة إنما تحاول أن تنشئ علوم لغة أو اقتصاد مستقلة وخالصة.[1]

وإذا أردنا أن نلخص في كلمات قليلة لما سبق أنّ ذكرنا عن طبيعة العلوم الإنسانية ، فإننا فقول أنها ليست علوما بمعنى الكلمة لأنها تتخذ لنفسها موضوعا هو نفسه شرط لوجودها.

إن مجمل الصعوبات التي تواجهها العلوم الإنسانية إنما تتعلق بالمواضيع الذي تحاول هذه العلوم دراستها وطريقة المنهج المستعمل كذلك يتأثر ويتفق فوكو مثله الكثير من الفلاسفة على أن العلوم بالغة التعقيد وتتميز كذلك بأنها كيفية غير قابلة للحساب، وهذه الظواهر سواء كانت تاريخية أو نفسية لا يمكن إعادتها فهي غير قابلة للملاحظة أو التجريب عليها.

ولقد كانت فلسفة "موت الإنسان"عند فوكو في ما يمكن اعتباره مرحلة أولى للمشروع الفكري عنده ، إتماما ومواصلة لما كانت البنيوية قد أنه من قبل ، من هدم لدعائم النزعة الإنسانية.[2] حيث كان مشروع فوكو يكمن في تحقيق غاية معينة في ميدان آخر كانت قد أعقلته البنيوية، ألا وهو ميدان نشأة العلوم والمعارف وتاريخ الأفكار،ويلزم بدون شك، التذكير بأن نقد ميشيل فوكو للنزعة الإنسانية في المجال المعرفي بالذات له خصوصيته،فهو نقد أوحى في البداية بفعل تأثير المناخ الفكري الذي نشأ فيه، بأنّه يقدم باسم الدقة والصرامة العلمية ، من اجل إزاحة

[1]– عبد الوهاب جعفر،البنيوية بين العام والفلسفة، المرجع السابق،ص303.

[2]– عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ،المرجع السابق،ص129.

العراقيل وتعبيد الطريق أمام علوم الإنسان كي تنخرط في ميدان العلوم المضبوطة.[1] وهذا النقد موجه للعلوم الإنسانية وعدم إمكانية إزاحة العراقيل التي تواجهها " إن الإنسان اختراع حديث العهد، صورة لا يتجاوز عمرها مئتي سنة ، إنه مجرد انعطاف في معرفتنا وسيختفي عندما تتخذ المعرفة شكلا آخر جديدا"[2].

ففوكو يصرح بأنه يصعب تحديد موقع العلوم الإنسانية داخل مثلث الأبعاد ويظهرها في الوقت عينه خطرة وفي خطرة إن تشكل بالنسبة لسائر العلوم كما لو كانت تهديدا مستمرا ، من المؤكد أن لا العلوم الإستثنائية ولا العلوم التجريبية ولا الفكر الفلسفي لن تكون مهددة بالانزلاق إلى العلوم الإنسانية أو التلوث بعيوبها، إن هي لزمت مجالها الخاص.[3]

ومن العلوم الإنسانية التي انتقد المنهج الذي تعتمده ، علم التاريخ فهو يرفض شأنه شأن نيتشيه التفسير الغائي للتاريخ ويوجه اهتمامه نحو إبراز الاختلافات و الاختلالات المبثوثه في الممارسة التاريخية[4]. فيوجه نقداً ابستمولوجيا شديدا للتاريخ التقليدي، محاولا بذلك إحلال مكانه الأركيولوجيا، ويؤكد "بول فيين" بأن الحدث الأساسي للتاريخ لدى فوكو ليس الخطاب ولا البينية ولا القطيعة بل هي الندرة، بمعنى أن الوقائع الإنسانية ترتبط بوقائع أخرى لا يستطيع العقل أن يلم بها أي ما هو كائن لايقع، فالوقائع الإنسانية احتياطية حسب قول "مارسيل موس" إنها ليست بديهية ولا شفافة وإن بدت كذلك[5]". وهذا الإصرار الذي أولى عليه فوكو على أن التاريخ أنه انفصال أو جملة من الانقطاعات الجذرية فإن وجود لأي انفصال أو تأثير بين الثقافات لأنه علامة على التشتت الزماني لكن اليوم أصبح أحد العناصر الأساسية للتحليل التاريخي ، الذى

[1]– عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، المرجع السابق،ص130.

[2]– ميشيل فوكو ، الكلمات و الأشياء ، المصدر السابق ، ص114 .

[3]– المصدر نفسه ، ص286 .

[4]– عبد الرزاق بلعقوز ، المعرفة و الارتياب المسائلة الإرتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشة ، منتدى المعارف ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2013 ، ص287 .

[5]– مطاع الصفدي ، التاريخ المختلف , الفكر العربي المعاصر ، مجلة ،بيروت،لبنان ، عدد34 ، 1987م ، ص19 .

على المؤرخ أن يميز بين المستويات الممكنة للتحليل والمناهج الخاصة بكل واحة منها، و التحقيب الذي يلائهما، للتاريخ في ثوبه الجديد هي هذا التحول الجديد بلا شك أي مفهوم الإنفصال.

ونلاحظ أن فوكو على الأغلب رأيه مثل رأي بعض المفكرين حول العوائق التي تواجه الدراسة في العلوم الإنسانية، وهذه العوائق تختلف من فرع إلى آخر في العلوم الإنسانية، فالحادثة التراريخية فريدة من نوعها لا تتكرر ،لأن الزمن الذي حدث فيه لا يعود من جديد ولا يمكن التجريب عليها،وكذلك هذه الحوادث لا تمثُل لقواعد الحتمية، ففي التاريخ نفس الأسباب لا تؤدي بالضرورة إلى نفس النتائج، والحادثة التاريخية كذلك معنوية غير مادية لا يمكن ملاحظتها ولا قبلها أي أنها كيفية وليست كمية ، حيث يقول ميشل فوكو في هذا الصدد " والمشكل الأكبر الذي سوف يعترض ، هذا النوع من التحليل التاريخي لن يبقى، إذن هو معرفة السبل التي سلكتها الاستمرارية لكي تنشأ، ولا الكيفية التي تمكن نفس المصير أن يبقى هو يرسم أفق واحد تنخرط فيه عقول متباينة متعاقبة ... وإنما مشكل الفصل و الحد ... بل مشكل التحولات التي تعمل كتأسيس و تحديد للتأسيس[1]،ومن أكبر العوائق الإبستيمولوجية التي تحول دون دراسة الظاهرة التاريخية وهي عائق الذاتية فالمؤرخ يواجه لحقائق تتعلق بكيانه الشخصي و الوطني والإيديولوجي، فيكون هذا الدارس و المدروس في نفس الوقت. ومن أبرز العوائق في مجال التاريخ التي ركز عليها فوكو وهو مشكل التحقير فيقول: " وليس أيضا الوضع الميتافيزيقي لذلك الإنسان الذي تتكلم عليه، أو تعاليه، بالأبعاد الثلاثة التي نريد تحديد حقلها[2].

ويقول في كتابة تاريخ الجنون،" لقد جرب الأطباء أنفسهم هذه الحرية، فاكتشفوا، وهم يقومون لأول مرة حوار مع الأحمق في العالم المختلف من السور الجسدية و الأساطير العضوية، الحضور الغامض للخطأ مبثوث في ميكانيزمات عدة، الهوى و الخلل و العطالة وحياة الرخاء في المدينة، و القراءات التافهة، و الخيال المفرط و الحساسية و الميالة للإثارة والقلقلة من مصيرها، إنها

[1]- ميشيل فوكو، حفريات المعرفة ، المصدر السابق ، ص7

[2]- ميشيل فوكو ، الكلمات و الأشياء ، المصدر السابق ، ص286 .

لعب كثير ، خطيرة للحرية حيث العقل قد يخاطر بنفسه وينساق وراء الجنون[1]، ومن خلال هذا النص يتضح وجود اهتمام كبير من طرف فوكو بعلم النفس حيث يسعى إلى إيجاد بعض الحلول لتكييف الظاهرة النفسية أو ظاهرة الجنون من أجل إيجاد علاج لهؤلاء المرضى.

لا ينكر أحد مدى تعقيد الظواهر الإنسانية سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو نفسية و الناتج عن خصوصيتها كظواهر معنوية، لكن يمكن دراستها بطريقة مكيفة حسب الموضوع ،وهذا ما حاول فوكو إيجاده من خلال بعض الحلول التي اقترحها في كتاباته حول التاريخ وعلم النفس و الاجتماع.

إن العوائق التي تواجه العلوم الاجتماعية لم يصرح بها فوكو كثيرا لكن مجمل هذه المشاكل تكون تتعلق بالإنسان نفسه فهي أيضا تمتاز بالتعقيد ولا يمكن إخضاعها لقوانين الحتمية، وكذلك تمتاز بأنها متشعبة تتدخل فيها عوامل كثيرة اقتصادية،اجتماعية و سياسية وعقائدية وتاريخية، و فوكو هنا يتناول موضوع الجنس والزواج وغيرها من المواضيع الاجتماعية ،وذلك في كتابه تاريخ الجنسانية، وهو يتحدث عن السلطة التي تتحكم في النظم الاجتماعية حيث يقول عنها "يجب بالأحرى افتراض أن علاقات القوى المتعددة التي تتكون وتلعب في أجهزة الإنتاج ، والأسرة ، والجماعات الضيقة والمؤسسات إنما تستخدم كدعامة لآثار انفلاق واسعة تخترق مجموع الجسم الاجتماعي[2]" وهذه السلطة قد تكون عائق أمام دراسة الظاهرة الاجتماعية لأنها تقيد الباحث أو الدارس.

ومجمل هذه المشاكل التي تواجه الظاهرة الإنسانية أنها غير قابلة للقياس الرياضي فهي كيفية،

وعن هذه الظاهرة النفسية يتحدث فوكو في كتابه تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي حول مجموعة من المشاكل التي توجه من خلال هذه الدراسة ، حيث أعطى عناية كبيرة بعلم

[1]- ميشيل فوكو تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، المصدر السابق ، ص516 .

[2]- ميشيل فوكو ، تاريخ الجنسانية ، إرادة العرفان ، تر: محمد هشام ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، (د ط) ، 2004 ، ص78 .

النفس،فالحالات الشعورية أو النفسية لايدركها إلا صاحبها ولا ترى من الخارج، وهذه الأحاسيس تتعلق بمقومات الشخصية وهي مختلفة من شخص إلى آخر يتعذر التعميم فيها ، وكذلك هذه الظواهر لا تتكرر بنفس الطريقة أو الشعور وتمتاز بالتداخل والارتباط يشتبك فيها الإحساس و الإدراك والذكاء مع الإرادة والانتباه مع الإرادة، واللاشعور بما تحت الشعور تنعدم دقة النتائج المتوصل إليها.

المبحث الثاني: تجاوز العوائق التي تحول دون دراسة الظاهرة الإنسانية

إن العلوم الإنسانية وبوجه عام اعترضتها مجموعة من الانتقادات التي وجهت إليها، وقد كان فوكو من المنتقدين بشدة لطريقة الدراسة في هذه العلوم ، لذلك فإن منهج الفهم الذي اعتمده فوكو يهدف إلى كتابة التاريخ المنسي، ويعيد بناء مختلف القوى الفاعلة بإبراز اختلافاتها والتراتبية القيمية التي تتموضع داخلها،[1] حيث ثار فوكو على المناهج القديمة المستعملة في العلوم الإنسانية، و أعلن أنه يجب إحداث قطيعة ابستمولوجية مع المعارف القديمة بالتعبير الباشلاري، فقد مثل فوكو بما قدمه من أطروحات فلسفية حول العلوم الإنسانية نقطة حاسمة في الفكر الغربي المعاصر عموما، والفرنسي على وجه الخصوص، وقد تأثر بنيتشه فكليهما رفض فلسفة التاريخ التي تتأسس على القول "بالمسمار" و "الغائبة" و "العلية" و "التقدم" و "القانون" وفي المقابل تخريج متطور آخر للتاريخ في المنحنى الإيجابي يبتغي اللاأصل واللاقانون واللامبدأ و اللاعقل،[2] فهو يقترح بعض الحلول للنهوض بالتاريخ وتأسيس معرفة يقينية وتكييف المنهج حسب موضوع الدراسة حيث يقول فوكو: "إن القوى المتحكمة في التاريخ لا تسعى نحو مرمى بعينه، ولا تخضع لعلاقات آلية، وإنما لصدق الصراع[3]"، فالتاريخ عنده يجب أن يخضع للتقصي و الحفر و التنقيب من خلال ابتكاره منهج جديد أسماه المنهج الأركيولوجي أو الحفري، حيث جعل فوكو الخطاب مفهوما محوريا في جل أعماله فالمتأمل في الأعمال التي قدمها فوكو،انطلاقا من الأركيولوجيا وصولا للجينالوجيا، يجد بأنه سعا إلى تحقيق هدفين ، يمكن القول بأنهما متكاملين لأبعد الحدود، وهما الإقتداء بالنموذج العلمي، ومجاوزة الميتافيزيقا وتفكيكها وهذا من أجل الوصول إلى علوم إنسانية خالية من الشكوك والشوائب.

---

[1]– عبد الرزاق بلعقوز ، المعرفة و الارتياب المساءلة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه ، المرجع السابق ، ص287 .

[2]– عبد الرزاق بلعقوز ، المرجع نفسه ، ص287 .

[3] ميشيل فوكو، جينالوجيا المعرفة ،تر: أحمد السطاتي ، و عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقال ، للنشر ، الدار البيضاء،المغرب، (دط)، 1988م ، ص35.

1- الإقتداء بلعمية النتائج:

يسعى فوكو على غرار فلاسفة البنيوية أمثال "كلود طيفي ستروس" و "جان لاكان" و "ألتوسير" و "صيباغ" وغيرهم ، يسعى إلى تحقيق العلمية،ومنه الوصول إلى الدقة في الأبحاث الفلسفية والعلوم الإنسانية على وجه الخصوص، ويلتقي في هذا مع "إيمانويل كانط" في محاولة إقامة علم اسمه الميتافيزيقا، ويمكن التعبير بصيغة مغايرة، أن فوكو أراد أن يجعل الفلسفة مبحثا علميا دقيقا"[1] ، يضاهي في دقته العلوم التجريبية، من حيث النتائج المتوصل إليها، وذلك بإلغاء الذات ومعارضة النزعة الإنسانية والتخلي عن الوهم، والإقتداء بالهدى العلمي لتأسيس نزعة إنسانية مغايرة لما شهدته الحداثة الأوروبية، نزعة مؤسسته علم قواعد وأسس علمية دقيقة بعيدة عن النسق الميتافيزيقي، محطمة كل ما اعتقد بأنه ثابت لا يتغير[2].

خصوصا والفكر الذي نشأ عليه فوكو متمركزا حول "برغسون" وسارتر، بنزعته الروحية،فاعتبر أن الميتافيزيقا تكمن حقيقتها في الفلسفة، المتجه نحو الجوهر الداخلي للوجود والحي، وعلى أساس هذا الفهم للعالم بوصفه عملية إبداعية.حيث بلور برغسون نظريته في المعرفة، لتصبح معها مقولات حتى النشاط والحدس والحرية من أساسيات هذه النظرية.[3]

وجه برغسون انتقادات لاذعة للمنهج التجريبي خلال تطبيقه على علم المادة الحية، بدعوى قداسة هذه المادة وخاصة منها الإنسان ومن هنا كان الاهتمام الجوهري في الفلسفة البرغسونية بالجانب الذاتي الروحي، والإغفال أو التجاهل التام لمختلف المنجزات التي حققها العلم، فقد كان تركيز برغسون على اليعمومة وحرية الإنسان، بمثابة إعلاء الجانب الروحي والذاتية.

---

[1]- عمر مهيبل ، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ، الدار العربية للعلوم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2005م ، ص222 .

[2]- عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ،ص7.

[3] الزواوي بغورة ، المنهج و البنيوية ، بحث في الأصول و المبادئ و التطبيقات ، دار الهدى ، الجزائر ، ط1 ، 2001م، ص109 .

وغير بعيد عن برغسون نجد سارتر الذي انطلق في تحليله الأنطولوجي للوجود، بتحويله لعملية التفلسف من النظرة إلى الخارج إلى النظرة إلى الذات الإنسانية ، كونها تمثل أساس الوجود الإنساني، هذا الوجود الساعي دائما إلى البحث والحرية، في خضم القلق ومختلف الحالات النفسية التي تعيشها الذات الواعية ، ومن هنا يتبين الفرق بين وجودية سارتر والفلسفة العلمية، التي احتضنت وتبنت مبادئ المنهج التجريبي فالمعرفة عند سارتر تكون عن طريق المشاركة بمعنى تلك التجربة التي تعيشها الذات، في حين أن المعرفة التجريبية ما يرادف التجربة الحسية.[1]

يعتبر فوكو الحقيقة غير ثابتة وغير مستقرة ، الذي لا يعرف التغيير والتحول عن مساره الذي وضع فيه، بل أصبحت معه وغيره من الفلاسفة إلى ما بعد الحداثيين قابلة للتأويل والتفكيك ، لتأخذ دلالات وأبعاد ربما كانت خفية فيما مضى، فقد حاول فوكو رصد التاريخ الحضاري للفكر والثقافة الغربيين ، واضعا قطيعة مع كل يمثل المرجعية الفكرية الثابتة.

فالقرارات الجديدة التي أتى بها فوكو، أو الكتابة التاريخية إن صح القول، تمثل ثورة في كتابة التاريخ، قائمة على الانفصالية وتعدد مستويات التحليل، وإعادة بناء مقولة الحدث التاريخي.

حيث يعتبر فوكو من أهم النقاد التي تعتبر مهمته الأساسية حيث سعا لوضع قطيعة إبستيمولوجية مع التراث الفكري الغربي الذي شيدته الحداثة الغربية، على غرار ما فعله "غاستون باشلار" في ما يتعلق بفكرة القطيعة الإيستمولوجية مع كل المعارف السابقة وذلك من أجل التحديد أو نظرية الهدم والبناء ، فقد دعا فوكو إلى ضرورة تحرير الخطاب من كل الرؤى الذاتية والإيديولوجية أو السلطوية أيا كان مصدرها، فمهمة الفيلسوف في نظره الكشف عن الحقيقة بين ثنايا الخطاب، وإن كانت الحقيقة غير محددة وغير واضحة المعالم، فمن الفهم الذاتي تنبجس الحقيقة كاختزال

[1]– فريد غيوة حيرش ، من الوجد الزائف إلى الوجد الأصيل ، مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطينة ،ص31.

للمشروع الذاتي للفيلسوف حينها تدرك اللحظة التحريرية للفيلسوف حين نفسه خارج عتبة الموضوعي.[1]

يتضح جلب كيف أن فوكو قد ثار عند المناهج الغربية المتبعة، و المعتمدة في دراسة التراث باختلاف مجالاته وحقبه التاريخية، فلم تقنع تلك الدراسات فوكو، من زاوية أنها جعلت المعرفة تقبع خلف أسوار الثابت والتجمد اللامتناهي، بل سعا إلى فتح الباب نحو أفق فكرية مجهولة النتائج معلومة المبادئ والأسس.

2-مجاوزة الميتافيزيقا وتفكيكها:

لقد اتخذ فوكو من النموذج العلمي سبيلا يلزمه إتباعه لتحقيق اليقين، فهذا ما يلزم عنه مباشرة إلى مشروعه وهو تقويض الميتافيزيقا ، أو تفكيك النسق الميتافيزيقي ومن هذا المنطلق سيتبلور فهم جديد للحقيقة فإن كانت محاولة "كانط" لجعل الميتافيزيقا علما قائما بذاته كباقي العلوم الأخرى ، لها مكانتها في التاريخ الفلسفي، فإن فوكو سينحو نحوا مغايرا لذلك تماما ذلك أنه عندما تبرز فكرة مجاوزة الميتافيزيقا نفسها، في الشكل الذي أعطاه إياه هيجل وهدما للتاريخ الهيجلي، وتقويضا لمفهوم الزمان التاريخي كما أرسته المثالية المطلقة[2]، وهذا ما يقرره فوكو في قوله: "أدرك أن عصرنا كله حاول بكل الوسائل أن يفلت من قبضة هيجل، سواء عن طريق المنطق أو عن طريق الإيستمولوجيا ، أو عن طريق ماركس أو عن طريق نيتشه.... لكن الانفلات من قبضة هيجل أننا نقدر بدقة تكاليف هذه الانقلابات، وإننا واعون إلى أي حد هو قريب منا بطريقة ماكرة، وإن ما تبقى لنا من هيجلية، هو الذي يسمح لنا أن نفكر ضد هيجل".[3]

[1]- محسن صخري فوكو قارئاً لديكارت ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب،سوريا ، ط1 ، ص38 .

[2]- عبد السلام بت عبد العالي ، أسس الفر الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص24 .

[3]- ميشيل فوكو ، جينالوجيا المعرفة , المصدر السابق ، ص39 .

يتضح من خلال هذا النص مدى الحضور القوي للفلسفة الهيجلية، وإن في صورتها السلبية فقد أقر "فوكو" أن الفكر الفلسفي الذي يسير في الخطى الهيجلية، يجب التخلي عنه أو بالأحرى مجاوزته، فالفلسفة كما كان سائدا في الحداثة الأوروبية، قد اكتملت عند هيجل من المعاني، التي يمكن أن تعطي لهذا المفهوم ، هو أن الفلسفة لم يكن لها تاريخ إلا عند المثالية المطلقة ، فمع هيجل ارتفعت الميتافيزيقا إلى مستوى التاريخ في صورة متعددة، ومن أهمها أن هيجل هو الذي وحد الشتات الفلسفي، في تاريخ تحددت نهايته في المعرفة المطلقة، بما تحمله اللفظة والمفهوم من معنى.[1]

انطلاقا من هذا الواقع الفكري، كان فوكو دائم التساؤل عن إمكانية قيام فلسفة بعد الفلسفة الهيجلية ،وهو المنحى نفسه الذي اتخذته الفلسفة المعاصرة عموما، كما هو الحال في الفينومينولوجيا الهايدغرية في محاولة منها لمجاوزة الميتافيزيقا ، حيث اعتبرها هايدغر نسيان الوجود، إلا أنه في قراءته لهيجل، يقف موقف المؤيد، لأنه اعتبر أن التحديد الهيجلي للتاريخ كنمو للفكر ليس تحديدا خاطئا ، لكنه ليس كذلك الصحيح في جزء منه والخاطئ في الآخر ، انه صحيح صحة الميتافيزيقا التي استطاعت مع هيجل ولأول مرة أن تجد التعبير عن ماهيتها المطلقة في المنظومة الفلسفية.[2]

ومن هنا تبين أن هيجل مثل نقطة هامة وجد حاسمة في بداية الفكر المعاصر، وإن كانت بالصورة النقدية، لكنها تعتبر مرتكزا أساسيا في قيام فلسفة تخرج عن النسق الميتافيزيقي، فقد أكد فوكو دائما على السلطة التي فرضها النسق الهيجلي على الفلسفة المعاصرة برمتها، حيث اعتبر أن مهمته تتلخص في محاولة جادت لتحطيم الألواح التي وضعها النسق الهيجلي.[3]

هذا المشروع النقدي الذي تبناه فوكو من خلال تأثره هيجل أدى به إلى إيجاد حلول أخرى لابد منها في الدراسة الإنسانية فاقترح المنهج الأركيولوجي الحفري المنهج الجديد لتفسير ظاهرة التحولات

---

[1]– عبد السلام بنعبد العالي ، أسس الفكر الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص22

[2]– عبد السلام بنعبد العالي ، هايدغر ضد هيجل ، التراث و الاختلاف ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت، لبنان ، ط2 ، 2006م ، ص ، ص60 -61 .

[3]–السيد ولد أباه ، التاريخ و الحقيقة لدى ميشيل فوكو ، الدار العربية للعلوم ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2004 ، ص21 .

والانتقالات يسعى إلى سير أعماق المعرفة عبر تاريخ الفكر، والكشف عن تلك الثوابت غير المنظورة التي سيغزو إليها سلطة التحكم في إنتاج وتنظيم المعارف المختلفة في كل فترة تاريخية.[1]

كما أن فوكو ومن خلال تأثره بنيتشه و الجينالوجيا التي كان يدعو إليها فقد مزج فوكو بين الأركيولوجيا والجينالوجيا ويعود ذلك لأسباب علمية تمثلت في عجز الأركيولوجيا من مواجهة بعض المشكلات العلمية إضافة إلى أحداث أيار-ماي 1968م. وما أثارته من قضايا سياسية لا يمكن دراستها وتحليلها إلا جينالوجيا ، ومن أهم قضية السلطة في جميع مجالاتها، ويتعدد معانيها وتجلياتها و آلياتها[2] ، فقد تغير مفهوم السلطة في التقليد الفلسفي والتاريخي ، وحتى السياسي ، ومن هذه الزاوية يرى فوكو ، أنه يجب على الجينالوجيا أن تخوض معركتها ضد آثار السلطة الخاصة بالخطابات المعتبرة علمية[3]، كما برزت التطبيقات الأركيولوجية في مجال الطب والطب العقلي، وكانت الحجة في هذا القول أن الجنون ليس كيانا مستقلا بل علاقة مسجلة في صميم الواقع الاجتماعي ،و أن المرض ليس مرضا إلا داخل ثقافة تعترف به من حيث هو كذلك،[4] ويتضح جليا أن فوكو حاول استخدام هذا المنهج أي الأركيولوجي في الدراسات النفسية فحاول تعميم هذا المنهج على جميع فروع العلوم الإنسانية.

[1]- عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص13 .

[2]- الزواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المرجع السابق ، ص126

[3]- ميشيل فوكو ، يجب الدفاع عن المجتمع ، المرجع السابق ، ص37 .

[4]- عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم و الفلسفة عند ميشيل فوكو ، المرجع السابق ، ص320 .

المبحث الثالث : إشكالية المنهج الفوكوي في الظاهرة الإنسانية.

لقد تبنى فوكو العديد من المناهج وضع لنفسه كذلك منهج خاص به وذلك من خلال دراسته المعمقة للفلسفة التي سبقته متأثرا بفلاسفة من العصر الحديث أمثال نيتشه و ديكارت وحتى كانط ومعاصرين أمثال هايدغر فحاول إيجاد منهج يصل به إلى الحقيقة في مجال فروع المعرفة وخاصة العلوم الإنسانية التي أعطى لها اهتماما خاصا. فتبنى المنهج البنيوي الذي استخدمه في علم النفس من خلال كتابه "ولادة العيادة" و"تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" حيث يقول عن البنيوية "إننا نحدد بلفظة بنيوية مجموعة من الاختصاصات و الشواغل وعددا معينا من التحاليل لها في الواقع موضوع واحد أعلم أنني أحدد البنيوية والبنيويات المختلفة بوحدة الموضوع، وإن يبدو ذلك مفارقة غريبة فالبنيوية هي حاليا مجموع المجالات التي تقوم بواسطتها بتحليل ما يمكن تسميته الركام الثقافي أي مجموعة العلامات و الآثار و الإشارات التي تركتها الإنسانية في الماضي و التي مازالت كونها يوميا وبعدد متزايد حولها ..."[1]، حيث يرى فوكو بأن البنيوية نزعة إنسانية شغلت مجموعة من الباحثين والمفكرين في جميع الميادين وقد استعملت بكثرة في مجال اللغة كما تعبر البنية عنده غريبة عن الإنسان أو هي على حد تعبير سارتر" الشيء بدوننا[2]". لأن هذه البنيوية ترفض مفهوم الإنسان وتنتقد النزعة الإنسانية فتأثر فوكو بجميع البنيويين السابقين، حيث فاعتبر نيتشه مرجعيته الأولى كما فتح له "دي سوسير" الأبواب انطلاقا من تحديد موضوع اللغة حيث أظهر اهتماما شديدا إلى درجة أن العديد من رواد التيار البنيوي لاحظ اللمسة البنيوية في جل أعماله بدءا من تاريخ الجنون وولادة العيادة.

البنيوية من وجهة نظر فوكو حيث يعترف بصعوبة إعطاء تعريف موحد للبنيوية لأنها تجمع اتجاهات ومباحث وطرائق مختلفة إنها مجمل المحاولات التي تقوم بتحليل ما يمكن تسميته بالوثيقة بمعنى

[1]–ميشيل فوكو ، البينيوية و التحليل الأدبي ، تر: محمد الخماسي ، العرب و الفكر العالمي ، حركة الإنماء القومي ، بيروت،لبنان، باريس،فرنسا ، 1988م ، ص، ص 16-15 .

[2]– جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، المرجع السابق ، ص470 .

مجمل العلاقات وآثار الإنسان التي تركها أو خلفها، والتي مازال يتركها إلى يومنا هذا [1]، ويعني هذا أن فوكو يرى في البنيوية مجرد تحليل بمختلف الوثائق التي أبعدها الإنسان بغض النظر عن اختلافها سواء كانت نصوصا دينية ،أدبية أو تاريخية أو أي نص خلفه الإنسان أن يتمركز جوهر التحليل البنيوية ، على اكتشاف البنية اللاشعورية المتوارية خلف الوثيقة التي تكتسي ثوب اللغة في التعبير عن مضمونها، واستنادا على هذا نحلل لغة تلك الوثائق والآثار للكشف عن البنية الرمزية المتخفية خلف نسيج اللغوي وعليه تكون البنيوية وصفا للوثيقة فقط ، في حين أن المنهجية البنيوية بشكل واضح، لأن الوصف الحفري يتجه للبحث عن الإنسان التي من شأنها أن تنتج الخطاب في فترات زمنية مختلفة ، إذ يبدو أن المماثلة التي يرتاح إليها أكثر تحليل إلى ما يصطلح على تسميته بالعلوم البنيوية: اللسانيات البنيوية ، الأنتروبولوجيا البنيوية التحليل النفسي البنيوي[2].

كما تأثر فوكو بنيتشه وذلك في موضوع المنهج الجينالوجي الذي جاء به نيتشه وتأثر به فوكو حيث حاول أن يواصل ويؤكد فوكو في أحد مقالاته، بأن مصيره الفلسفي كان محددا بقراءة هايدغر لكنه يعترف أن نيتشه قد استأثر في الأخير باهتمامه ،ويضف مؤكدا أنا ببساطة نيتشوي أحاول بقدر الإمكان أن أرى بخصوص عدد من النقاط بمساعدة نصوص نيتشه ،ولكن مع ذلك بأطروحات مضادة لنيتشه ،و ما يمكن أن نعمل في هذا المجال أو ذلك لأن بحث عن أي شيء أخر ولكن أبحث عن هذا بحق[3].

ويعترف فوك بأن الشكل الفلسفي الأخير الممتد من مدرسته فرانكفورت مرورا بنيتشه وماركس، هو الذي أسس منهجا تندرج فيه أعماله هذا المنهج هو شكل حفريات المعرفة لدى فوكو أول تجسيد من تجسيداته ولذا فإن فوكو عندما اختار عبارة أركيولوجيا لا للتغيير عن تاريخ الأفكار وإنما كان وفيا للخط الذي أرساه نيتشه الذي حاول استعمال التاريخ من رصد الوحدات الثابتة وتحديد مقولات

[1]– الزواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المرجع السابق ، ص29 .

[2]– عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص132 .

[3]– السيد ولد أباه ، التاريخ و الحقيقة لدى ميشيل فوكو ، المرجع السابق ، ص74 .

الوعي والاتصالية ليصبح معولا بهرم مفاهيم الواقع والهوية ويكرس الاختلاف و الانفصال على أنقاض المقولات الإنثربولوجية والميتافيزيائية لنظرية المعرفة ،و الأركيولوجيا كمصطلح في اللغة العربية يقابلها علم الآثار و الأثريات وأحيانا الحفريات وهذه الكلمة الأخيرة هي التي تكون موجودة دائماً في الترجمات التي أنجزت لبعض أعمال فوكو [1] .

و المنهج الأركيولوجيا لدى ميشيل فوكو هو الذي يدرس الوثائق والآثار التاريخية بالمنظور الظاهر أي بالحالة التي وجدت عليها آنذاك وإنما الحفر وراء تلك الخطابات وإتباع الخطوات الخاصة بالمنهج الأكيولوجي قصد الوصول إلى حقيقتها . كما أنها ليست مجرد اهتمام بالماضي وإنما هي الأركيولوجيا الراهن ، ويمكن القول أنها عكس الجينالوجيا التي هي توثيق بما كان في غابر الزمان.

يجيب فوكو عن إشكالية (الأركيولوجيا) في حوار مع جريدة le monde في سنة 1969 بأنه استعمل لفظ الاركيولوجيا للدلالة على وصف الوثيقة ولم يقصد اكتشاف بداية، أو الكشف عن عظام وهي رميم [2]، إذن فالوصف و الوثيقة هما أساس الاركيولوجيا والتي يعرفها بقوله " أمكنا استنادا إلى قانون الألفاظ والذي لا يطابق قانون علماء اللغة أن نطلق على تلك الأبحاث اسم الحفريات وهو لفظ لا يتضمن أي محاولة للجري واللهث وراء البدايات كما لا يقرن التحليل بأي تنقيب ، بل يدل على الفكرة الأساسية و المحورية العامة لوصف هدفه استنطاق الماقيل في مستوى وجوده و في مستوى الوظيفة المعيارية التي تمارس عليه، والتشكيلة الخطابية التي ينتسب إليها، والمنظومة العامة لاحتفاظه وظهوره، فالحفريات تصنف الخطابات كممارسات محددة في عنصر نظام الاحتفاظ والظهور[3]، يتضح من خلال هذا النص أن الأركيولوجيا لا تسعى للبحث عن البدايات الأولى، فهي ليست مبحثا جيولوجيا أو تنقيبا لأن الوصف الأركيولوجي يسعى في أساسه إلى استنطاق العبارات الممثلة في الأرشيف، ويمكن القول أن منهجية النقد الأركيولوجي ، تسعى للكشف عن الأسس

[1]– عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، 136 .

[2]– الزواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المرجع السابق ، ص113 .

[3]– ميشيل فوكو حفريات المعرفة ، المصدر السابق ، ص122 .

التاريخية التي تشكلت في ظلها الخطابات بحكم أن الخطاب هو ما تسعى الأركيولوجيا إلى وصفه وتحليله ودراسته.

أثناء تناولنا للأركيولوجيا عند فوكو ونحن نعرف أن الأركيولوجيا تتعلق بالخطاب وتتمثل في العبارة المنطوق ولهذا الشأن سيوجه فوكو أبياته الأركيولوجية لتحليل العبارة معتمدا على مجموعة من الآليات التي تمثل دعامة المنهج الأركيولوجي، فقبل تناول أي علم من العلوم أو أي خطاب مهما كان نوعه، فالمادة التي سيكون علينا مواجهتها كما يرى فوكو هي على العموم عبارة عن ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب ومن هنا يبرز مشروع وصف الأحداث الخطابية ، كأفق للبحث في الوحدات التي تتشكل فيه وهو وصف يتميز بكيفية واضحة من تحليل اللغة.[1]

ينوه فوكو بداية، إلى ضرورة التخلي كلية عن مجموع الوحدات الجاهزة ، التي تكبل الفكر وتضعه في حدود لا يمكن الانفلات من سيطرتها ، حيث ينبغي دائما" أن نضع من جديد موضع سؤال هذه التركيبات الجاهزة، ونطرح ثانية للبحث تلك التجمعات التي درجنا على تقبلها دون إعمال للفكر النقدي[2] ، وهذا ما يقتضي ضرورة نقد كل المبادئ الميتافيزيقية التي اعتمدت في التقليد"،وأكثر الوحدات التي يلح فوكو على نقدها في الأركيولوجيا، والتشكيك في مدى مصداقيتها ، هي وحدة الكتاب والأثر ، حيث يتساءل حولها قائلا : " أليست الوحدة المادية لكتاب ما وحدة هزيلة ، وتابعة بالقياس إلى الوحدة الخطابية التي هو مركزه؟ وهل الوحدة الخطابية هي بدورها متجانسة وتنطبق بنفس الصورة؟ [3] ، ويجيب فوكو بأن حدود أي مؤلف لا تبدو واضحة ، فخلف العنوان والأسطر التي يتضمنها الكتاب ، والمعنى الكامن وراء معناه الحقيقي ، هناك مجموع علاقات تربط ذلك الكتاب بنصوص ومؤلفات أخرى، وهو ما يجعله عبارة عن جزء من كل ومهما اختلفت ميادين الكتب والمؤلفات ، لا يمكن مطلقا اعتبارها وحدة متماثلة لأن " وحدته متغيرة ونسبية ، ما إن

[1]– ميشيل فوكو ، جينالوجيا المعرفة ، المصدر السابق ، ص26

[2]– المصدر نفسه ، ص22 .

[3]– المصدر نفسه ، ص23

نفحصها فحصا نقديا ، حتى تفقد بداهيتها، فهي وحدة لا تطابق ذاتها ولا تنشأ إلا داخل نقل خطابات متشابكة"[1].

إن آخر مشكلة يتوقف عندها فوكو لتفادي الوقوع في وهم الحقيقة وزيفها ،هما فكرة الإنفصالية والإتصالية فقد عد فوكو من أقطاب الفلسفة الإنفصالية في الحقبة المعاصرة نظرا لتوظيفه لنظرية القطيعة الايستمولوجية لباشلار، ومبدأ الثورات العلمية لتوماس كوهن.

حيث يرى فوكو أن الأطروحة التي ترى أن التاريخ و الحداثه ، عبارة عن تسلسلات زمنية متتالية ، لا تعرف أي انقطاعات أو تصدعات ، فتكون بذلك بداية الحدث التاريخي عند نقطة بعينها ، تعتبر هنا أصل البداية ، وهي فكرة بدورها مرتبطة بفكرة أن كل خطاب مهما كان نوعه ينطلق من فكرة ، ثم قبولها، فكل هذه التصورات في نظر فوكو ، من قبل التاريخ الميتافيزيقي لا يفضي إلى وهم الحقيقة في الخطاب .

وعلى هذا الأساس يكون التاريخ خطاب بلا نص[2]، وهذا ما يجعل الخطاب يبقى رهين الصمت المطبق للفكرة التي انطلق منها، مما يجعل التحليلات التاريخية تلهث وراء اقتفاء صدى وإعادة الأصل فقلبت من كل تحديد تاريخي[3]، وتعتبر هذه التحاليل من أهم الأدلة التي تدل على تأثر فوكو بنيتشه و ذلك من خلال إلغاء مقولة الأصل كعامل أساسي في التحقيق التاريخي والنظر إلى الأحداث التاريخية على أنها منفصلة لا تعرف الاستمرارية أبدا بمعنى أن مختلف الممارسات الخطابية تشهد في مراحل تكوينها لحظات حاسمة ، وهو ما يصطلح عليه فوكو بالانقطاع في التاريخ ، و الأركيولوجيا تهتم بهذه النقطة خصوصا التي عادة ما تهمل من طرف المؤرخين ، فينظر إليها على أنها جزئيات لا ينبغي الاهتمام بها في حين تلك الأحداث البسيطة تكون هي الفاعل الأساسي في التأسيس لشرعية الخطاب وتفعيله على واقع الممارسة.

[1]- ميشيل فوكو،جينالوجيا المعرفة ،المرجع السابق ، ص23.

[2]- ميشيل فوكو ، الكلمات و الأشياء ، المرجع السابق ، ص85.

[3]- ميشيل فوكو ، المرجع ،نفسه ، ص90

ومن أهم الآليات التي اعتمدها فوكو في الحقل الأركيولوجي خاصة وذلك من اجل نقد البني الخطابية الغربية هي :

أولا : الندرة: وهذه الآلية تعتمد على تحليل العبارة في كون هذه الآلية دلالات مشتركة ، وتعبر عن العصر الذي أنتجت فيه وعلى هذا تعمل هذه التحليلات على استنطاق النصوص ، من خلال إبراز ما كان في نية البشر أن يقولوه ، لا انطلاقا مما نطقوا به أو كتبوه[1].

كما يستند هذا القانون على مبدأ الكل الذي لا يقال أبدا فتظهر كمبدأ تقطيع داخل تشابك الخطابات ومبدأ فراغ داخل حقل اللغة في نفس الوقت .[2]

ثانيا : تحليل العبارة من خارجيتها : حيث أن معظم الدراسات الأخرى تتجه نحو لب الموضوعات أو نواحيها الداخلية ولكن هذا النوع من التحليل لا يعدو أن يكون تاريخا متعاليا، وهي الفكرة التي يسعى الوصف الأركيولوجي إلى تجاوزها وتقويضها ، والانفلات من قيودها وهمها، فلكون العبارة تتميز بالتبعثر والانتشارية ، كان على الأركيولوجيا أن تتجه إلى وصف العبارة في تبعثرها الخاص[3]، إذن فتحليل الخطاب لا يأخذ بعين الاعتبار مبدأ الوعي ، لأن الوصف الأركيولوجي يسقط مقولة المؤلف، حيث يعني بتحليل الأقوال على أنها مبنية للمجهول ، بهدف تحديد انتظاماتها وتغيراتها مع تجاهل مصدرها أيا كان نوعه ، فكل ما يقال وكل ما ينتج من عبارات و خطابات يقع بالضرورة تحت رحمة لعبة الخارجية.[4]

ثالثا : مبدأ التراكمية : إن الهدف من الوصف الأركيولوجي ليس إحياء النصوص وإعادة بريقها الذي فقدته مع مرور السنين ، عن طريق تتبع مصدرها وأصلها التي وجدت فيه ، فالقراءة أو الأثر أو تفسير الرموز أو التذكر كلها تحيل إلى مبدأ واحد وهو استئصال الخطاب الماضي وانتزاعه من

[1]- ميشيل فوكو ، حفريات المعرفة المصدر السابق ، ص110 .

[2]- المصر نفسه ، ص111

[3]- المصر نفسه ، ص113

[4]- المصدر نفسه ، ص113

قصوره وجموده و ابتعاث شيء من حيويته الضائعة لخطة معينة[1]، غير أن الوصف العباري لا يسعى أبدا إلى إحياء النصوص وهي ركام ، بل إنه يرفع و يزيح مجموع الأفكار التي لها صلة وثيقة بموت النفس ، حيث تسعى الأركيولوجيا أن تعطي بعدا انطولوجيا للعبارة، فدور هذه الآلية فيما يرى فوكو يتمثل في الكشف عن نمط وجود الذي يميز العبارة.[2]

رابعا : القبلي التاريخي :إن وظيفة الأركيولوجيا تتمثل في الوقوف عند مختلف التشكيلات الخطابية في مختلف مستوياتها.

فالقبلي التاريخي عند فوكو يتمثل في بيان الظروف التي من خلالها تمنح الخطاب عاصفة الحقيقة ، فهي كل حقبة تاريخية معينة، توجد خلفيات على أساسها تبنى المعرفة والبحث العلمي، وجل هذه الخلفيات، هو ما يشكل القبلي التاريخي[3]، ويعني أيضا بالقبلي التاريخي الشرط الأساسي لصحة الأحكام أو بطلانها فما يعنيه في هذا المقام هو القبلي الذي يكون شرطا لوجود العبارت ... وإبراز شروط انبثاقها ، قانون تواجدها مع عبارات أخرى، والشكل النوعي لنمط وجودها والمبادئ التي تستمر وفقا في البقاء وتتغير وتندثر[4].

وإذا انفلتت إلى موضوع آخر في أبحاث فوكو خلال حياته، وهو موضوع السلطة الذي أولى لها أهمية كبيرة وخصص له عدة مباحث في كتاباته، حيث أن التعمق في النص الفوكاوي يجعلنا ندرك ولا شك مدى جدية الطرح الذي قدمه فوكو، لأجل وصف الحداثوي الغربي لأحد أهم الموضوعات وهو السلطة بغية الكشف عن مختلف آلياتها وتجاوزاتها في مختلف المجالات ، فالتجربة الغربية سارت دائما نحو مركز السلطة سواء كانت دينية أو سياسية وحتى ثقافية لكن الممارسة وزعت السلطة وجعلتها تتنقل عبر الأفراد أنفسهم ، بحيث إن تطور تقنيات السلطة ، قد تحولت نحو الأفراد وعملت على

[1]- ميشيل فوكو ، حفريات المعرفة ، المصدر السابق ، ص113.

[2]- المصر نفسه ، ص113

[3]- جورج زيناتي ، رحلات داخل الفلسفة الغربية ، دار المنتخب الغربي ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 1993 ، ص106.

[4]- ميشيل فوكو ، حفريات المعرفة ، المصدر السابق ، ص118.

توجيههم دائما [1]. وذلك من خلال توجيه عمل السلطة نحو الأجساد مباشرة بغاية تطويعها ، كما هو الحال في معاملة المجنون والمريض والمسجون ، وهذه المعاملات ما هي إلى وجه من أوجه السلطة.

[1]– مطاع الصفدي ، نقد العقل الغربي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت،لبنان ، 1990م ، ص101

الفصل الثالث : نقد وتقييم الفلسفة الفوكاوية ومصير العلوم الإنسانية

المبحث الأول : مقاربة بين فوكو وليفي ستروس

يمثل المنهج البنيوي أحد أهم المرجعيات الفكرية التي أثرت قي مسيرة فوكو ، البنيوية هي تعبير عن مرحلة معرفية معاصرة ، وهي منهج بحث يتناول من خلاله الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة ، بحيث تخضع هذه المعطيات، فيما يرى البنيويون للمعايير العقلية[1]، فقد وصل الفكر الإنساني إلى أقصى درجات تطور ، و أصبحت الإبستمولوجيا تبحث عن استقرارها بسبب تشتتها بين العلم و الفلسفة.

فما إن عرفت البنيوية كمنهج للنور في منتصف الستينات من القرن الماضي ، حتى أصبحت موضوع جدل في مختلف الأوساط الفكرية، كعلم الاجتماع، و علم النفس، و علم اللغة و الفلسفة، فقد لاقت رواجا كبيرا باعتبار ما يثمره الحقل الفلسفي من نتائج ميتافيزيقية، بخلاف التي تسعى إلى تحقيق الدقة في العلوم الإنسانية، على غرار النتائج المتحصل عليها في العلوم الأخرى ،كالفيزياء و البيولوجيا، و غيرها.

إضافة إلى أن النموذج الوجودي الذي كان فارضا نفسه في الساحة الفكرية ، قد استنفذ كل قواه بالرغم من كل محاولات التجديد المختلفة ، إذ عرفت الوجودية تفوقها على نفسها جراء تغير الظروف السائدة في أوروبا ، و تجاوزها مشكلات من قبيل الحرية و المسؤولية و القلق...الخ، هذا ما أوجب البحث عن مناهج جديدة و منفتحة .

وهكذا فرضت البنيوية نفسها كقوام ودعامة صلبة للفكر الغربي المعاصر، الذي فتح له دوسوسير الأبواب انطلاقا من تحديده لموضوع اللغة عند مميزته بين ثنائية اللغة والكلام ، إذ اعتبر دوسوسير اللغة عبارة عن نسق منظم من العلاقات ، مؤكداً بذلك على فكرة النسق المكتشف من خلال دراسة

[1]– جون ستروك ، البنيوية و ما بعدها ، تر : محمد عصفور ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت ، (د ط) ، 1996 ، ص9 .

العلاقات الداخلية للغة في التحولات الحاصلة في تلك العلاقات [1].و ذلك بهدف الكشف عن العلاقة التي تحكم البناء الصوري الواقعي للغة و هذه الرؤية أرست دعائم اللسانيات الحديثة ومن هنا أصبح النموذج الألسني، طريقا لبلوغ علمية في باقي العلوم ، لم يكن فوكو بعيدا عن المد البنيوي، بل أعتبر من رواد هذا التيار، وكانت إستراتجيته لا تتحدد في إطار التصوف البنيوي السكوني الصارم الرافض للتاريخ و لكن المقومات المعرفة الذاتية، عن طريق الألسنيين الأوائل المنشغلين بضبط انتظام المقولات و رسم ثوابت البنيات المعرفية المتراصة، فإشكالية فوكو و إن كانت تتقارب مع أبحاث ليفي ستروس الأنثروبولوجية فإنها تتعارض معها من حيث طبيعة المفاهيم الموظفة و النتائج المترتب عنها، إذ يتمركز جوهر التحميل البنيوي عند فوكو على اكتشاف البنية اللاشعورية المتوارية خلف الوثيقة التي تكتسي ثوب اللغة في التعبير عن مضمونها و استنادا لهذا المبدأ تحلل لغة تلك الوثائق و الآثار التي خلفها الإنسان عبر التاريخ للكشف عن البنية الرمزية المتخفية خلف النسيج اللغوي و عليه تكون البنيوية و صفا للوثيقة فقط دون الوقوف على الخلفيات التي ظهرت منها في حين أن المنهجية فوكاوية تتجاوز الوصف البنيوي بشكل واضح بأن الوصف الحفري يتجه للبحث عن الأسس التي تنشأ و تنتج القطاع في فترات مختلفة[2].

و يتضح اهتمام فوكو باللغة من خلال مؤلفاته تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ومولد العيادة وصولا إلى الكلمات و الأشياء، حيث بين في تاريخ الجنون تغير النظرة للجنون رابطا إياها بالبعد اللغوي كالزخم الأدبي الذي حفلت به جل مؤلفاته الأدبية التي تمحورت أساسا حول ظاهرة الجنون ، و بالتالي ستتحول النظرة للجنون مختلفة بذلك عما كانت عليه قبل عصر النهضة.

[1]– عبد الرحمن التليلي، فوكو: الحفريات، منهج أمفتح في الفلسفة؟، مجلة عالم الفكر، العدد:4، المجلد 30، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، و الآداب، الكويت، 2002، ص:41.

[2]– عبد الله عبد الرحمن يتيم ،كلود ليفي ستروس ، قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر ، إصدارات بيت القرآن ، البحرين ، ط1 ، 1998م ، ص 125 .

يتضح إذا أن اللغة شكلت نقطة هامة في تحديد الجنون و دراسته عبر الحقب الزمانية التي مر بها . فتحليله يعتمد أساسا على وصف أركيولوجي لخطابات التي صاحبت الظاهرة ، فقد سعى فوكو إلى ربط الجنون بمستواه الإبسومولوجي و الأنطولوجي كاشفا عن المستوى الأركيولوجي لخطاب الجنون موجها التحليل صوب اللغة و بالضبط لغة الجنون ، فقد احتلت اللغة المكانة الأولى، ذلك أن الجنون و بالتدقيق تجربة تتجسد في لغة الهذيان[1] ، فالجنون يتحدث لغة أنثروبولوجية ، إنها لغة تستهدف في الوقت ذاته من خلال غموض منه كانت تستمد سلطاتها المقلقة لدى العصر الحديث ، تستهدف حقيقة الإنسان و فقدان هذه الحقيقة تبعا لذلك حقيقة هذه الحقيقة[2].

كما تحتل اللغة مكانة بارزة في مولد العيادة حيث يبين في كتابه الكيفية التي تطورت بها اللغة الأركيولوجية لتتحول لخطاب علمي مؤسس، و يرجع اهتمام فوكو للغة في التجربة الطبية لكونها أداة و الوسيلة المناسبة لتحليل موضوع المعرفة، فقد اعتبرها من طبيعة علمية و بنيوية من خلال اعتمادها على ثنائي الدال و المدلول و مبدأ التزامن البنيوي[3] ، فالدال هو أعراض المرض و علامته و المدلول هو حقيقة ذلك المرض أو لب المرض ، فكما أن للدلالة صورتين تتشكل منهما الدال و المدلول فالأمر نفسه بالنسبة للمرض.

إضافة إلى التجربة الطبية يظهر اهتمام فوكو بلغة أعماله الأدبية وممارساته الاجتماعية التي تؤلف الخطاب فلغة هي إذن هي الطريق القويم الذي تحقق به الوصول إلى الدقة في العلوم الإنسانية وهو ما تسعى إليه البنيوية في جميع مجالاته.

لم تنحصر البنيوية في مجال الألسن فحسب بل امتدت الدراسات البنيوية و اتسع مجالها في ميادين بحثية جديدة مثل الأنثروبولوجيا ، التاريخ و الفلسفة ، و يعتبر كلود ليفي ستروس من خلال دراسة أنظمة القرابة من أبرز المعتمدين على المنهج البنيوي.

[1]– الزواوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، المرجع السابق ، ص34.

[2]– ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي تر: سعيد بنكراد المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2006 ، ص518 .

[3]– الزواوي بغورة، ميشيل فوكو في الفكر الغربي المعاصر ، دار الطليعة ، بيروت،لبنان،ط1 ، 2001 ، ص20 .

و قد حاول ليفي ستروس استثمار الإرث اللغوي إلى أقصى مدى مقتنعا أن اللغة تشكل الأنموذج العلمي الأول الذي ينبغي للأنثروبولوجيا أن تهتدي به ، فهي نسق مستقل بذاته يقوم على التسليم بالعلاقة الفاعلة التي تربط مكونات العلامة اللغوية بمعنى أنها تصل بين اللغة و الكلام الفردي ، و تصل أيضا الصورة الصوتية و المفهوم ، أو بين الثنائي الدال و المدلول[1]، معتمدا في ذلك على المزج بين النموذجين هما نموذج التحليل الفينومي عند جاكوبسون الذي حاول إثبات أن البنية اللغوية تسير دائما في تتابع ثنائي من التراكيب المتوازية و المزج مع ثنائيتي الدال و المدلول السوسيرية ، استخدم ستروس هذين النموذجين كقاعدة أساسية في دراساته الأنثروبولوجية ، كما يعتبر كتابه الأنثروبولوجيا البنيوية محاولة منهجية للكشف عن الأبنية العقلية الكلية العميقة ، كما تتجلى أنظمة القرابة و الأبنية الاجتماعية الكبرى[2] ، فقد باشر ليفي ستروس عمله الميداني في حقل الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات البدائية في البرازيل تحديدا ، حيث و جد أن واقعها لا زماني ، خاصيته الأهم هي إعادة إنتاج نفسه في عملية اجترارية لا متناهية.

و بعد ملاحظات حية استخدم فيها قدراته الفلسفية الأولى ، باستخدام الاستدلال المجرد و البحث عن الثابت العقلي المتخفي وراء الظاهرة ، و الدراسات الأنثروبولوجية لا ينبغي أن تقوم على أساس ملاحظة ما هو مشترك ما بين مختلف الثقافات و المنهج المتبع من قبل الأنثروبولوجيين قبل ستروس بل يجب أن يدرك ذلك التداخل على مستوى البناء العقلي، لأن البناء هو المشكل المركب الأساسي للعنصر الكلي في أي ثقافة بشرية ، و مفهوم البنية عند ستروس لا يستند إلى الواقع التجريبي بل إلى النماذج الموضوعة بمقتضى هذا الواقع ، و هكذا يظهر الاختلاف بين مفهومين متجاورين جدا بحيث وقع الالتباس بينهما ، غالبا أقصد مفهوم البنية الاجتماعية ، و مفهوم العلاقات الاجتماعية و هي

[1]- ايديث كروزيل ، عصر البنيوية ، تر: جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، الكويت ط1 ، 1993 ، ص38 .

[2]- المرجع نفسه ، ص327 .

المادة الأولى المستعملة في صياغة نماذج توضح البنية الاجتماعية ، إذ لا يمكن إرجاع هذه البنية إلى مجمل العلاقات الاجتماعية التي تسن ملاحظاتها في مجتمع معين[1].

فالتحليل الأنثروبولوجي البنيوي لا يهدف إلى بيان الطريقة التي يفكر بها الناس في الأساطير ، و إنما مسائلة الأسطورة عن النسق الذي فكرت به من خلال المجموعة البشرية التي أبدعت تلك الأسطورة دون وعي منها، إذ يمر الباحث الأنثروبولوجي باستنطاق المسكوت عنه المتضمن في الأسطورة، فكل حكاية شعبية مهما كان مصدرها تتضمن خطابا ما ، فمهمة الأنثروبولوجي البنيوي تتمحور في تفكيك الرمزية التي تتوارى بين ثنايا المدلولات و دوالها.

و يمكن القول إذن أن ليفي ستروس حاول من خلال أبحاثه الأنثروبولوجية ، البحث عن البنية اللاشعورية للأساطير الشعبية، بحكم أن اللاشعور هو ممكن الحقيقة، فكان الاعتماد الأول على البنيوية كمنهج صارم يتسم بالعلمية و يفضي إلى نتائج دقيقة و يقينية بعيدة عن الميتافيزيقية، فعند مقارنته بين البحوث الاجتماعية و اللغوية بين ستروس و المكانة الهامة للغة ، حيث يقول في هذا الصدد: " لقد اتبع علماء اللغة منهجا أدق و توصلوا إلى نتائج أمتن[2]".

و بظهور اللسانيات البنيوية انقلبت الأوضاع في العلوم الاجتماعية فلم تحدد فقط في الآفاق اللغوية ، و إنما تحولات كهذه لا تقتصر على علم خاص ، حيث ساهم ليفي ستروس من خلال نتائجه و تحليله في فتح المجال لرواج اللسانيات البنيوية و اتساع مجالات تطبيقها ، فكانت هي المنطلق الحاسم لدراسته الأنثروبولوجية.

[1]- كلود ليفي ستروس ، الأنثروبولوجية البنيوية ، المرجع السابق ، ص 327 .

[2]- المرجع نفسه ، ص51 .

المبحث الثاني: نقد و تقيم المشروع الفوكاوي

يعتبر المشروع الفلسفي الذي قدمه ميشيل فوكو مشروعا فكريا يجعل الباحث يضيع فيه كل مرة داخل فلسفة التناقض، مشروع لا يهاب المفارقات و قلما يلتقي إليه أو يعنى بتجاوزها ، بل إنه لا يتنفس إلا فيه، فمن خلال انتقاده للنزعة الإنسانية تعددت مصادر إلهامه فمرة كان يستند إلى أكثر العلوم الجدة و تقدما و مرة أخرى إلى الفلسفات الأكثر تشاؤما و عدمية، فهو لا يرى أي مفارقة في هذا المزج الفكري لتنويع المصادر من الإبسيمولوجيا المعاصرة و الأنثروبولوجيا البنيوية و اللسانيات و التحليل النفسي لنيتشه و هايدغر.

و من أهم الفلاسفة الذين تعارضت آراءهم مع الرؤى التي أتى بها فوكو نذكر يورغن هابرماس ، و بالخصوص في مسألة السلطة، حيث رأى هابرماس أن المفهوم الفوكوي للسلطة يكتنفه نوعا من الغموض بداية بتغييب الأصل التاريخي المفهومي للسلطة، وهذا ما أدى استخدام مقولة السلطة بطريقة غامضة[1]. فقد أولى هابرماس عناية خاصة بفوكو من خلال النقد الموجه له فكان له كتاب بعنوان ميشيل فوكو يتناول فيه هذا الموضوع.

و يلاحظ هابرماس أن فوكو يعقل لتفكير الجينالوجي في تاريخيته الخاصة و لا يبين لنا بشكل كاف أصل مفهومه التاريخي الترندستاني للسلط ، و في تحليله للعلوم الإنسانية انتهى إلى فصل دورها و قوة طبيعية و قسرية[2].

و قد تركز نقد فوكو أساسا حول مسألة السلطة في نقده للحداثة، و ليس هناك مبرر في ذلك لاستخدامه المنهجي لمشروعه المتناقض، و هذا انعطاف في السلطة حسب هابرماس ينبغي أن يفهم بمثابة محاولة مدفوعة من الداخل لتخطي المشكلات المطروحة على فوكو، بعد أن أنشأ في كتابه نظام الخطاب مشروعا يرمي إلى رفع القناع عن العلوم الإنسانية بوسائل تحليل الخطاب وحدها.

[1]- عمر مهيبل ، من النسق إلى الذات ، المرجع السابق ، ص130 .

[2]- المرجع نفسه ، ص136.

ثم يتنقل هابرماس إلى عرض الإحراجات النظرية في فلسفة السلطة ، كما يرى أنها عاجزة عن كشف استقلالية مكانزماته المعيارية و المعرفية كشفاً واضحاً و سليماً[1]، ففوكو يحمل تصورا مغايرا في السلطة فهي عنده تصور محوري في منظومة الفلسفة و هي هيكل و بنية تنظيمية في المجتمع.

كما يتناول فوكو تلك القرابة الموجودة بين أركيولوجيا العلوم الإنسانية ونقد هايدغر للميتافيزيقيا التقليدية، لأن الإبستيميات من حيث هي تعبير عن أشكال معرفية تندرج في إطار مسار فهمي للوجود يتمحور حول الذات، و هذا هو التحليل نفسه ، الذي يقدمه هايدغر للفلسفات الحديثة من ديكارت حتى نيتشه مرورا بكانط، إلا أن فوكو يأبى تجاوز فلسفة الذات من خلال نقد الميتافيزيقا[2]، و ينطلق فوكو من هذا النقد من تجاوز الفكر القديم.

و يتبين لنا من كل ما تقدم أن الفلسفة عند هابرماس في إجراءاتها النقدية ، يجب أن تدمج العلوم الاجتماعية و الأفق السياسية للنقد، ومن هنا يظهر الاهتمام الأساسي لهبرماس بإشكالية المعرفة و المصلحة في سياق تستدعي فيه الحداثة التقنية نوعا من التماشي بين المعرفة و السلطة[3]، حيث يقول هابرماس حول السلطة :" تلك السلطة التي لا يمكن المصالحة معها، إلا عندما يتصاعد الحنين نحو الحياة المفقودة من خبرة سلبية الحياة المنقسمة، و تلزم بأن يطابق المتجاهل ذاته في الوجود الغريب المحارب"[4] و نرى من هنا أن السلطة عند هابرماس تختلف عما يؤمن به فوكو.

كما يذهب هابرماس إلى نقد فوكو من خلال قوله" أن فوكو أخذ موضوعات النيتشاوية في نقد العقل عن باطاي لا عن هايدغر، و أخيرا لم يجني الفائدة من هذه الاندفاعات بوصفه فيلسوفا بل

---

[1]- عمر هيبل ، من النسق إلى الذات ، المرجع السابق ، ص136 .

[2]- المرجع نفسه ، ص137 .

[3]- محمد نور الدين أفاية ، الحداثة و التواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، أفريقيا الشرق بيروت،لبنان ، ط1، 1998ص54 .

[4]- يورغن هابرماس ، العلم و التقنية كإديولوجيا ، تر : حسن صقر ، منشورات الجمل ، كولونيا ،ألمانيا ، ط1 ، 2003م ، ص15 .

بوصفه تلميذا لباشلار، بوصفه مؤرخا للعلوم ، و كان خلافا للمؤلف القائم في هذه المادة، يهتم بالعلوم الإنسانية أكثر من اهتمامه بالعلوم الطبيعية[1].

حيث تحدث هابرماس عن كتاب فوكو "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" ، و يحاول شرح ما جاء في هذا المؤلف ، فيخمن فوكو في ما وراء الظاهرة التي أنجبها الطب النفسي للمرض العقلي، و بشكل عام خلف الأقنعة المختلفة للجنون فهو يؤصل لموضوع الجنون ولكن موضوع العلوم الإنسانية وسائل الإعلام تفرز و تتصدر السيرورة المغلقة لهذا الدمج الاجتماعي ، أي في الواقع الوضع تحت إشارة السلطة.

و بالإجمال كان هابرماس ينتقد الاتجاه العقلاني و التقدم الاجتماعي في قلب مشروع التنوير الذي قال به نصيرا ما بعد البنيوية فوكو و دريدا ، و يصفهما هابرماس بأنهما "شابان محافظان" و يناهضان للحداثة[2]، و تمثل الحداثة في هذه المناقشات رؤية جمالية أخلاقية و سياسية مشتركة توحدت في فكر القرن الثامن عشر ، لكنها عادت و انقسمت على نفسها في خضم التطورات اللاحقة التي طرأت على مجتمعات الغرب ، و يعتقد هابرماس أن العقل ارتبط خطأ في هذه الرؤية بالموضوع الفردي، و يشترك في نقده هذا عن الفلسفة التي يكون محورها موضوعها ما بعد الحداثة البنيوية، لكنه يرى أن مشروع التنوير من أجل التفهم و العدالة و الديمقراطية يمكن إدراكه من خلال عملية إعمال للعقل يدعمها التزام مشترك بأهداف هي الحقيقة و الحق و الإخلاص .

كما تعرض فوكو للانتقاد من طرف الفيلسوف و المفكر بول ريكور ، حيث يعتبره فوكو أحد أسياد التشدد في الحقبة المعاصرة ، فيتحدث عن الأركيولوجيا و لكن يرفض التي جاء بها فوكو فيقول: "إن كنا نريد التكلم عن الأركيولوجيا (علم الآثار ، الحفريات) ليس بالمعنى الذي يستخدمه فوكو و

[1]- يورغن هابرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر: فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق،سوريا، (د ط) ، 1995، ص 366 .

[2]- بيتر بروكر ، الحداثة و ما بعد الحداثة ، تر: عبد الوهاب علوب ، منشورات المجمع الثقافي ، أبو ظبي ،الإمارات العربية المتحدة، ط1 ، 1995 ، ص198.

لكن بالمعنى العادي لعلم الطبقات الجيولوجية[1] ، وهذا دليل على رفض ريكور لأركيولوجية فوكو ، ويعتبر هذا المنهج بالمتشدد ، وذلك من خلال تطبيقه في ميدان العلم حيث لم يستطع هذا المنهج أن يجد الطريق الخاص به في المعرفة فيقول عن الحفريات "أنها لا تبحث عن إعادة بناء الماضي ، و لا أن تكرر ما كان ... أي أنها المحافظة على الشكل الخارجي ، وتحويل منظم لما كتب سابقاً [2] ، أي أنها لا تحقق نتائج جديدة فيما يخص المعرفة التاريخية .

كما يذهب ريكور للقول أن فوكو في استعماله للمنهج الأركيولوجي و إعلانه لموت المذهب التاريخي ، يمثل القطيعة الإبستمولوجية التي ينادي بها فوكو في تاريخ الأفكار و يقول في هذا الصدد " الحفريات تقودنا إلى الحيرة في مواجهة ممارسة وصفها حينها أنها تقشف عقلاني ، تحت علامتين فكريتين بارزتين للأرشيف بما هو سجل للمعلومات الاستدلالية ، و للحفريات بما هي وصف للتغيرات البين استدلالية رسم فوكو حدود أرض محايدة جذرياً " [3] .

رغم هذا النقد الموجه لفوكو من طرف بول ريكور من خلال تحليله لأركيولوجيا المعرفة و الكلمات و الأشياء ، إلا أنه أشاد به في الأخير حيث يقول في هذا الصدد : "ليس هناك أي سبب كي نترك لعالم الاجتماع قضية الاستقرار التي يبدو لي أنها تستحق إعادة الدرس، مثل مسألتي الاتصال والانفصال اللتين بفضل التأثير الجيد لحفريات المعرفة التي جاءت مع ميشيل فوكو، وقد احتلتا صدارة المناقشة[4]" ، ولهذا تحددت وظيفة المنهج الأركيولوجي في كونه يسعى للكشف عن الأسس المعرفية التي قامت عليها المعرفة ، من تحليل سلسلة العلاقات القائمة بين مختلف العلوم ، و هذا ما يؤدي إلى تنقية التاريخ الميتافيزيقي من مختلف مقولاته ،و من جل المظاهر التي توحي بالذاتية

[1]–بول ريكور ، الذاكرة التاريخ ، النسيان ، تر: جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 2009 ، ص. 301

[2]– المرجع نفسه ، ص302 .

[3]– المرجع نفسه ، ص307 .

[4]– المرجع نفسه ،ص 341

، وبالتالي إلغاء القداسة التي تعطي لمقولة الذات في التحليلات التاريخية ، ففوكو يستعمل المنهج الأركيولوجي بتقنية تجعل منه صالح لأي زمان و مكان .

ومن أهم النقاط التي تعرض إليها فوكو في مشروعه الفلسفي و التي تلخص مسيرته كفيلسوف و مفكر :

– كشف فوكو عن مفهوم المنطوق ليشير به إلى أولى جزئيات الحدث المقالي[1]، حيث يبين فوكو أن المستوى المنطوقي يكون من خلال تحليل العلاقة بين المنطوقات ، وهنا نرى أن مفهوم المنطوق يقترب كثيراً من مفهوم اللفظ في علم اللغة .

– كما كان فوكو أول من مفكر في صياغة التحول الإبستيمولوجي بما شمله من قطع .

– كذلك كشف فوكو عن العلاقة بين نسق المعرفة و نسق السلطة حيث كانت دراسته تكمن داخل الخطاب و ذلك من خلال تحليل اللغة .

– يرجع الفضل لأعمال فوكو من خلال تعرضه لنقطتين هامتين سبقت الإشارة إليهما ضمناً:

النقطة الأولى: تتصل بظهور الطب و العلاج كموضوع للدراسة الفلسفية التي تسأل عن أصوله أو شروط ظهوره[2] ، فعرفت النتائج المتوصل إليها من طرف فوكو منعطفاً حاسماً في تايح الفكر الفسفي المعاصر ، فيؤسس لأكثر من نظرية ، السلطة ، الجنون ، التاريخ و الأركيولوجيا و غيرها ، فيقدم مفاهيم لهذه المصطلحات.

النقطة الثانية : تتمثل في ابتكار منهج جديد أسماه الأركيولوجيا استخدمه في التنقيب عن مختلف المعارف في شتى العلوم .

إن مختلف هذه النتائج هي أهم ما قدمه فوكو طيلة مسيرة حياته الفلسفية .

[1]–عبد الوهاب جعفر ، البنيوية بين العلم و الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 315 .

[2]– المرجع نفسه، ص117

المبحث الثالث : مصير العلوم الإنسانية

ما يلاحظ على العلوم الإنسانية أنها أحرزت تقدماً كبيراً عبر المراحل التي مرت بها ، و ذلك من خلال إسهام المفكرين و الفلاسفة لمحاولة جعل معارفها يقينية ، سواء كان منها توجيه اختيار أنواع النشاط ، كما هو الحال في التوجيه النفسي أو زيادة إنتاج الفرق العاملة أو الصحة النفسية أو تنظيم المدن ، حيث عملت النزعة الإنسانية بتحرير الأفراد من الحواجز المتحجرة ، الفئوية و المراتبية الاجتماعية و الدينية ، التي اتسمت بها بنية المجتمع الإقطاعي .

وكذلك معرفية التعصب و محاكم التفتيش ، و البحث في المجال المعرفي عن مصادر إحدى للحقيقة عبر شراح الوحي المأذونين ، و الإشادة النسبية بأهمية التجربة و العقل[1] ، فنزعة الإنسانية تعتبر برنامج تربوي وتعليمي وكذلك دلالة على مشروع ثقافي تاريخي، يحي الأفكار والتواريخ وينظمها ويضبط سلوكات الأفراد و المجتمعات .

لاشك أن العلاقات القائمة بين ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية ، تتسم اليوم بالانفتاح والاستفادة من نظريات ومناهج بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى ، فالبنيوية كانت اتجاها فلسفيا قد ضربت مثلا يحتذي به في هذا المجال فهي جمعت بين مؤسسها من هو عالم انثروبولوجيا مثل ليفي ستروس ، وعالم نفس مثل لاكان ، ولغوي ونقد مثل بارت و مفكر وفيلسوف مثل فوكو ولغوي آخر مثل تشومسكي [2].

وهذا منتج عن البحث العلوم الإنسانية فجميع فروعها قد وضعت البنيوية محل تطبيق وقد نتج عن هذا التوظيف جوانب مهمة من إخفاقات ونجاحات .

وهذه العلوم قد حققت تقدما واضحا من خلال المناهج التي مرت عليها عبر التاريخ ، من حقبة القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين حيث واجهت هذه العلوم لازمة من خلال المنهج المتبع في

[1]– عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، المرجع السابق ، ص190 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 90

الدراسة ، فقيام المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية أدى بعلماء الاجتماع الى التسابق لتطبيقه في العلوم الإنسانية ، وذلك لتحقيق النتائج التي حققت في العلوم الفيزيائية والتجريبية والفلكية ، ولكن حقق هذا المشروع فشلا ذريعا في إعطاء المضمون الحقيقي لظواهر الاجتماعية و الإنسانية على حد سواء ، ومن هذا المنطلق برز نقد برجسون لأصحاب المناهج التجريبية المطبقة في مجال العلوم الإنسانية[1].

ومن هذا المنطلق أيضا كانت محاولة الانثروبولوجيا البنائية هي الأخرى ثورة على الأسلوب التجريبي للبحث في دراسة الظواهر الاجتماعية فبرز ليفي ستروس بعتباره واحدا من العلماء الاجتماعين الذين أحسو بعلم المنهج التجريبي الصارم لنجاحه الصارم في دراسة الظواهر الاجتماعية [2]، وهذا ما جاء في كتابه الانثروبولوجيا البنيوية ، حيث حاول أن يصيغ نظرية في العلوم الإنسانية وجعلها قابلة للدراسة مثلها مثل العلوم التجريبية و البيولوجية .

و على الرغم من أن دلتاي دافع بقوة عن الاستقلالية الإبستيمولوجية للعلوم الإنسانية ، فإن ما يسمى منهجاً في كل مكان تكشف في شكل نموذجي خاص في العلوم الطبيعية[3]، و كلنا نعرف أن العلوم الإنسانية ليست لها منهج معين تسير به مثلها مثل باقي العلوم مثل العلوم الدقيقة و الرياضيات ، فحاولت إيجاد منهج خاص بها و ذلك في مختلف فروعها .

و يقول فوكو في إطار هذا : " إن البعد الرياضي هو الأقل إشكالا بين الأبعاد الثلاثة التي تفتح للعلوم الإنسانية مجالها الخاص وتهيئ لها المكان الذي تتكون فيه أو على الأقل ، فمع هذا البعد بالذات تقيم العلوم الإنسانية أوضح علاقاتها و أكثر صفاء وشفافية[4] ، وكان رأي فوكو يتوجه نحو مشروع نقدي للعلوم الإنسانية ، ولم تحقق في رأيه معرف كاملة ويقينية ، والبعد الرياضي عنده كان

[1] – محمد على أبو ريان ، أسلمة المعرفة ، العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية ، المرجع السابق ، ص 241.

[2] – المرجع نفسه ، ص 242.

[3] – هانز جورج غادامير ، الحقيقة و المنهج ، المرجع السابق ، ص55 .

[4] – ميشال فوكو ، الكلمات والأشياء ، المصدر السابق ،ص 288.

الحل أمام المفكرين لإعطاء هذه العلوم شكل وتبرير علمي يخص المعرفة الإنسانية ، فكان هدف هذه العلوم تغيير حقيقة الذات الإنسانية موجهتا جهودها إلى دراسة الإنسان في أبعاده الثلاثة المختلفة النفسية ، الاجتماعية ، التاريخية ، السياسية و حتى الاقتصادية ، فغدت معها الذات موضوعا قابلا للبحث والدراسة العلمية ، والنتيجة من ذلك انه ظهر إلى الوجود معارف أضحت مألوفة حالينا ومعروفة أطلق عليها منذ القرن التاسع عشر اسم فقه اللغة البيولوجية ، الاقتصاد السياسي [1]،و فقه اللغة أو الفيلولوجيا هو نتيجة حتمية للتغيرات التي طرأت على مستوى التحليلات اللغوية فنتيجة الإفرازات الإعرابية التى أثرت بشكل كبير على النحو العام ، وتغير المجال والوظيفة اللغوية ، يؤكد فوكو أن فقه اللغة تهتدي إلى الاهتمام بالمستوى الكلامي الذي سيعرف منعطفا حاسما مع دوسوسير .

حيث تعتبر الإنجازات التي قدمها دوسوسير في مجال اللغة بالجريئة ، لأنه حدد المناخ الفكري و المنهجي للدراسة لدراسات اللغوية القادمة و المتصاعدة من اللبينات الأولى التي ضبط قواعدها ، و يمكن تحديد مجالات البحث السوسيرسة، في دراسة طبيعة اللغة و اللسانيات من جهة، و علاقة اللغة بالتنوع الاجتماعي من جهة أخرى[2]. و انطلاقا من هذا المبدأ باشر دوسوسير مشروعه الألسني، بداية بضبط مفهوم اللغة على أنها واقع قائم بذاته أو كيان لا تحدده عناصر خارجة عنه، و يتضح ذلك من خلال التساؤلات التي أبرزها في اللغة و الكلام، معتبرا اللغة مؤسسة اجتماعية في حين أن الكلام مؤسسة فردية[3].

حيث تدخل اللغة في تحديد المعرفة الاجتماعية و الإنسانية على حد سواء، فصياغة هذه النظريات تكون في قوالب لغوية، و هذا ما جاء بهم ميشال فوكو من خلال تحليل الخطاب من خلال معرفة الحقيقة ،و بناءا على ما سبق شكلت اللغة جوهر البحث الألسني، لكونها كيان قائم بحد ذاته، أي أن اللغة عند الفيلسوف الفرنسي كانت البنية الأساسية لتشكل فكره وأساسيات مشروعه.

[1] – المصدر نفسه ، ص 192.

[2] – المصدر نفسه ، ص 193

[3] –– ميشال فوكو ، الكلمات والاشياء ، المصدر السابق ،ص 194

حيث تعتبر الإنجازات التي قدمها ديسوسير في مجال اللغة الجريئة لأنه حدد المناخ الفكري والمنهجي للدراسات اللغوية القادمة والمتصاعدة من اللبنات الأولى التي ضبط قواعدها ، ويمكن تحديد مجالات البحث السوسيرية في دراسة طبيعة اللغة واللسانيات من جهة وعلاقة اللغة بالتنوع الاجتماعي من جهة أخرى [1].

وانطلاقا من هذا المبدأ باشر دي سوسير مشروعه الألسني بداية بضبط مفهوم اللغة على أنها واقع قائم بذاته أو كيان لا تحدده عناصر خارجة عنه ، ويتضح من خلال التسميات التي أبرزها في اللغة والكلام ، معتبرا اللغة مؤسسة إجتماعية في حين أن الكلام مؤسسة فردية [2] ، حيث تدخل اللغة في تحديد المعرفة الإجتماعية والإنسانية على حد سواء ، فصياغة هذه النظريات تكون في قوالب لغوية ، وهذا ما جاء به ميشال فوكو من خلال تحليل الخطاب لمعرفة الحقيقة .

وبناءا على ما سبق شكلت اللغة جوهر البحث الألسني ، لكونها تدرس دراسة تفضي إلى نتائج علمية تتسم بالدقة واليقين والهدف من ذلك كما يرى دي سوسير لا يقوم على التصرف ببنية اللغة بل على تحديد هذه البنية و وصفها [3].

كما لم تنحصر البنيوية على المجال الألسني فحسب ، بل امتدت الدراسات البنيوية لتشمل ميادين بحثية جديدة ،مثل الأنثروبولوجيا و التاريخ والفلسفة ،و من أبرز الذين اعتمدوا المنهج البنيوي، نجد كلود ليفي ستروس من خلال أنظمة القرابة .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الأنثروبولوجيا أكثر المجالات المعنية بين تلك العلوم بمفاهيم و نظريات ليفي ستروس وأكثرها استقبالاً وتفاعلا معها ، لذلك كانت هي كانت هي من العلوم الأولى

[1]–محمد سالم سعد الله ، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 2007 ، ص 110

[2]–المرجع نفسه ، ص 122.

[3]–فرديناند دوسوسير ،دروس في الألسنة العامة ، تر : محمد الفرماوي ، محمد الشعبداوش وأخرون ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د ط ، 1982 ، ص 8

التي قامت بنقد البنيوية[1]، فمهمة العلوم إنسانية تمثلت في نقد البنيوية و صقلها لاستعمالها في الدراسات الموضعية لفروع العلوم الإنسانية ،وقد ترتب على على عمليات النقد و إعادة الإنتاج تلك أن أتيحت للبنيوية فرصة واسعة لأخذها ميدان الحقل و الدراسات الأثنوغرافية و بالتالي توسيع دائرة مفاهيمها على مستوى الدائرة الأنثروبولوجية[2]، و بذلك اكتساب معارف جديدة من خلال تطبيق النظرية الأنثروبولوجية وأهم ما يميز بنيوية ليفي ستروس أنها كانت تهدف إلى كشف الميكانيزمات و الشيفرات و القواعد الخاصة للبنية الحقيقية و التي تقبع وراء البنية الظاهرة أو السطحية.

و لاشك أن العلاقات القائمة بين ميادين العلوم الإنسانية و الاجتماعية تتسم بالانفتاح و الاستفادة من نظريات ومناهج بعضها البعض أكثر من أي وقت مضى ،فالبنيوية التي كانت اتجاها فلسفيا قد ضربت مثلاً يحتذي به في هذا المجال فقد جمعت بين مؤسسيها البنيويون .

لقد استطاعت البنيوية عند ليفي ستروس أن تلعب دوراً هاماً خلال الستينات و السبعينات الماضية في قيادة الأنثروبولوجيا من مستوى تحليل الموضوعات إلى مستوى آخر يتميز بتحليل الشواهد و الحقائق الامبريقية[3]. كما استطاعت العلوم الإنسانية أن تحقق نتائج مرضية في مختلف فروعها ، و حاولت الارتقاء إلى مصاف العلوم الطبيعية بأن تثبت ذاتها و وجودها بتعدد مناهجها، و لهذا حاول فوكو أن يؤصل لمنهج في العلوم الإنسانية ليعطيها نوعاً من اليقينية.

[1]– عبد الله عبد الرحمن يتيم ، كلود ليفي ستروس ،قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر ،إصدارات بيت القرآن ، البحرين،ط1، 1998 ،ص91

[2] – عبد الله عبد الرحمن يتيم، المرجع نفسه ، ص91

[3]– عبد الله عبد الرحمن يتيم، كلود ليفي ستروس قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر ،المرجع السابق ، ص101.

خاتمة

إن الفكر الغربي المعاصر يقوم في غالبه على النقد الذي يعتبر هدم من أجل البناء ، و هذا ما تجسد في المشروع الفوكوي ، الذي قام بتحطيم الألواح القديمة و مجاوزة الميتافيزيقا و ما كان سائداً في الفلسفات السابقة ، حيث أن حاول أن يؤسس لمشروع نقدي في مختلف المجالات التي أبدعتها الحضارة الغربية ، ساعياً لمواصلة المسيرة التي افتتح بوابتها نيتشه عن طريق الجينالوجيا التي تأثر بها فوكو و اعتمدها في دراساته عند حدود النظري فحسب بل ابتكر المنهج الأركيولوجي و طبقه على العلوم الإنسانية في محاولة لجعلها تصل لدقة النتائج التي و صلت إليها العلوم الطبيعة .

فوكو طيلة مسيرة الفلسفية عدة أطروحات تعتبر من أهم الحلقات الفلسفية في الحقبة المعارة، فلم يترك مجالا معرفيا إلا و كان له رأي فيه، فتناول مفهوم السلطة و الخطاب و المعرفة و الجنون و التاريخ...

حيث تبلورت فكرة ابسيمولوجيا عنده و برزت أهمية القطيعة الابستيمولوجية التي ناد بها باشلار، و يوضح لنا النقد الفوكوي الانقلاب و الانفصال الذي حدث في العصر الكلاسيكي فاتحا الباب لظهور ابستيمي جديد للعصر الحديث، فالإشكاليات التي طرحها فوكو ستكون المنطلق الأساسي لبلورة مشروعه الأركيولوجي (الحفري) و اختار أن يكون خطابه خارج قيم الحقيقة، و العلم و العقلانية، و ان كان قد استلهم من البنيوية بالفعل فقلص من أهمية دور الذات، و انه لم يلبث أن استغنى عنها لكي يواصل تحت شعار نقد المعرفة التقويض النتشوي و الهيدوغري للعلم و للعقل و المبادئ، و دافع من خلال هذا المنظور الجينيالوجي عن فكرة التناظر الجذري في مسار المعرفة الإنسانية، فمفهوم المعرفة و السلطة من المفاهيم المركزية و الأساسية الخاصة بتحميلات "ميشال فوكو

و المختلفة عن الدراسات التي تناقش علاقة العلم و السياسة و علاقة العقل بالهيمنة حيث تحدد مفهوم السلطة و المعرفة بالجمع و الربط بينهما، لا بالفصل و التمييز كما هو عند الفلاسفة خاصة في المدرسة الماركسية أو في مدرسة فرانكفورت.

كما نجد أن فوكو عارض أن فكرة السلطة مساوية للعنف و الإخضاع و الهيمنة، بل منح للسلطة دورا ايجابيا في رسم علاقة الفرد بالمجتمع، إما اللغة فلم يهتم بها الباحثون في فلسفة "فوكو" رغم أهميتها وعلاقتها للخطاب و هذا راجعا في نظرنا إلى المكانة الهامشية التي احتلتها ضمن إنتاجه الفكري بروز الخطاب في أعماله الأساسية و احتلاله لمكان الصدارة، كما أن التصور الفوكاوي للغة لم يشكل إلا مرحلة فكرية من حياة الفيلسوف ارتبط فيها بالأدب و بالنزعة البنيوية في بعض أطروحاتها.

و يلاحظ هابرماس أن فوكو يغفل التفكير الجينيولوجي في تاريخيته الخاصة ولا يبن لنا بشكل كاف أصل مفهومه التاريخي الترندستالي للسلطة، إذ و في تحليله للعلوم الإنسانية انتهى إلى فصل إرادة المعرفة عن سياقها الميتافيزيقي لمجاوزة العوائق التي تحول دون دراسة الظاهرة الإنسانية.

رغم الانتقادات التي تعرض لها فوكو إلا أن المجالات المعرفية التي ارتادها شكلت حقلا ابستومولوجيا حاول فوكو أن يكسبه الدقة و الصرامة،خاصة في مجال علم النفس و التاريخ و علم الاجتماع، و التي تدخل في دائرة ما يسمى بعلوم الإنسان، التي اتبعها فوكو في طرح مشروعه الأركيولوجي.

و خلاصة القول أن التأسيس الفلسفي لنهضة العلوم الإنسانية شرط أساسي في بناء مناهج تعالج مختلف الظواهر الإنسانية ففي واقع الأمر إن المجتمعات الغربية بوضع مناهج للعلوم الإنسانية إلا أن وضعت الأسس الفلسفية لتأسيسها ، كما أن التطور الذي تشهد العلوم الإنسانية في المجتمعات الغربية ، جاء نتيجة ارتباط هذه العلوم بالمجتمع المدني بصفة خاصة ، يظهر هذا جلياً للمجتمع الفرنسي أحدثت فيه العلوم الإنسانية بمناهج مختلفة تغيرات جذرية في مختلف الحقول المعرفية.

ولاشك أن المشروع الفوكاوي استطاع بمناهجه التأثير في الساحة الفكرية خاصة في ميدان العلوم الإنسانية ، كما أثارت أعماله جدلاً كبيراً و خضعت لقراءات متعددة ، و يمكن القول إجمالاً أنها ستظل نقطة إبداع قصوى في تاريخ الفكر البشري ، و هذا ما تثبته النصوص الضخمة والدراسات المتنوعة التي تناولت فكر هذا الفيلسوف .

قائمة المصادر و المراجع :

أ- المصادر :

- ميشيل فوكو ، البنيوية و التحليل الأدبي ، تر: محمد الخماسي ، العرب و الفكر العلمي ، حركة الإنماء القومي بيروت باريس (د ط) ، 1988م .

- ميشيل فوكو ، الكلمات والأشياء ، تر: نطلع صفدي و آخرون ، مركز الإنماء القومي، بيروت ، (د ط) ، 1989م.

- ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية إرادة العرفان ، تر: محمد هشام ، أفريقيا النشر ، المغرب، (د ط) ، 2004م.

- ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ، الغرب ، ط1 ، 2006م .

- ميشيل فوكو ، جينالوجيا المعرفة ، تر: أحمد السطاتي و عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، (د ط) ، 1988 .

- ميشيل فوكو ، حفريات المعرفة ،تر: سالم يفوت ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ط1 ،1987 .

- ميشيل فوكو ،يجب الدفاع عن المجتمع،تر: الزواوي بغورة ،دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ،ط1 ،1996.

ب-المراجع:

-إديث كروزيل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد و الصباح، الكويت، ط1، 1997م.

- الزواوي بغورة، ميشال فوكو في الفكر في الغربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001م.

- الزواوي بغورة، المنهج و البنيوية، بحث في الأصول و المبادئ و التطبيق، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2001م.

- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، المجلس الأعلى للثقافة (د.م)،(د.ط)، 2000م.

- السيد ولد اباه، الحقيقة و المنهج و التاريخ عند ميشال فوكو، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2004م.

- بتير بركر، الحداثة وما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب علوب منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي ،ط1، 1995م.

-بول ريكور ،الذاكرة و التاريخ، النسيان ،تر: جورج زيناتي ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بيروت ،ط1 ،2009.

- جيل دولوز ،المعرفة و السلطة عند فوكو تر: سالم يفوت ،المركز الثقفي العربي ،ط1، 1987.

-كلود ليفي ستروس ،الأنثروبولوجيا البنيوية ، ج1 ،تر: مصطفى صالح ،منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ،(دط)، 1977.

ـ يورغن هابرماس، العلم و التقنية كإديولوجيا ،تر: حسن صقر، منشورات الجمل ،كولونيا،ألمانيا،ط1 ، 2003.

ـ يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، تر:فاطمة الجيوشي ،منشورات وزارة الثقافة دمشق ،دط ،1995

ـ فردينارد، دوسوسير، دروس في الألسنة العامة، تر: محمد الفرماوي، محمد الشاوش، و محمد و جينا، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1982م.

- بتير بروكر، الحداثة وما بعد الحداثة، تر: عبد الوهاب علوب منشورات المجمع الثقافي، ابو ضبي ط1، 1995م.

- بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية فوكو و ثورة في المنهج التاريخي، تر: ابراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1993م.

- بول موي، المنطق و فلسفة العلوم، تر: فؤاد حسين زكرياء، دار النهضة، مصر (د.ط)، (د.س).

- جورج زيناتي ، رحلات داخل الفلسفة الغربية ، دار المنتخب العربي ، بيروت ،ط1، 1993م.

- جون ستروك، البنيوية و ما بعدها ، تر: محمد عصفور ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ،الكويت، 1996.

- حسين علي حسين ، فصول في فلسفة العلوم الفيزيائيةو الإنسانية ، دار الجوهر للنشر و التوزيع ،مصر، (د.ط)، 2014م.

- عبد الرزاق بلعقوز، المعرفة و الارتياب، المسائلة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه، و امتدادها في الفكر الفلسفي العربي المعاصر، منتدى المعارف بيروت، ط1، 2013م.

- عبدالله عبد الرحمن يتيم، كلود ليفي ستروس، قراءة في الفكر الأنثروبولوجي، المعاصر، إصدارات بيت القرآن، البحرين، ط1، 1998م.

- عبد السلام بنعبد العالي، هيدغر، ضد هيجل، التراث و الاختلاف، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 2006م.

- عبد السلام بنعبد العالي، أسس الفكر الفلسفي المعاصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط1، 1991م.

- عبد الوهاب جعفر البنيوية بين العلم و الفلسفة، دار الوفاء، لدنيا الطباعة، الاسكندرية، (د.ط)، 2013م.

- عبد العزيز العيادي، المعرفة و السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، بيروت، 1994م.

- عمر مهيبل، اشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، دار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2005م.

-لينين فاليري، فرويد و التحليل النفسي، ترجمة: زياد الملا، دار الطليعة الجديدة، سوريا، ط1، 1997.

- محسن صخري، فوكو قارئاً لديكارت، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط1، 1997.

- محمد علي أبو ريان، أسلمة المعرفة، العلوم الانسانية ومناهجها من وجهة نظر اسلامية، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1997م.

- محمد نور الدين أفاية، الحداثة و التواصل في الفلسفة االنقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، أفريقيا الشرق، بيروت، ط2، 1998م.

- محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا، ط1، 2009م.

- محمد علي الكردي، وجوه و قضايا الفلسفية، دار مطابع المستقبل، بيروت، الاسكندرية، (د.ط)، (د.س).

- مطاع الصفدي، نقد العقل الغربي، مركز الانماء القومي، بيروت، (د.ط)، 1990م.

- نظمي لوقا، الله أساس المعرفة و الأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، (د.ط)، 2003م.

ج-المعاجم و الموسوعات:

- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د.ط)، 1983م.

- إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية، مجمع اللغة العربية، مصر، (د.ط)، 1994م.

- ابن منظور، لسان العرب، م1، م2، م4، م6، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1994م.

- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، الجزء الثاني منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001م.

- بدر الدين، تريدي، قاموس التربية الحديث، دار راجعي للنشر و الطباعة، الجزائر، (د.ط) 2010م.

- تد هوندرش، دليل أكسفورد للفلسفة، الجزء الثاني، تر: نجيب الحصادي، المكتبة الوطنية للبحث و التطوير.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2006م.

- محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، م3، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1971م.

د-المجلات

- عبد الرحمن التليلي، فوكو الحفريات، منهج أم فتح في الفلسفة؟، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد30، المجلس الوطني للثقافة.

- مطاع الصفدي، التاريخ المختلف الفكر الغربي المعاصر، مجلة بيروت، العدد34، 1987م.

هـ-مذكرة:

-حمودي سعيدي، خطاب الابستيمولوجي، في الفكر الفلسفي المعاصر، أطروحة لنيل دكتوراه دولة، جامعة الجزائر 2002-2003م.

الفهرس

- شكر و عرفان

- إهداء

– مقدمة.....04

– الفصل الأول: كرونولوجيا وجينالوجيا

- المبحث الأول: شبكة المفاهيم 07

-المبحث الثاني: كرونولوجيا الفيلسوف 19

- المبحث الثالث: فلسفة فوكو وعلاقتها بفلسفة العلوم.....24

– الفصل الثاني: فلسفة فوكو والتأصيل لمنهج علمي

- المبحث الأول: خصائص الظاهرة الإنسانية عند فوكو.....34

- المبحث الثاني: تجاوز العوائق التي تحول دون دراسة الظاهرة الإنسانية.....42

- المبحث الثالث: إشكالية المنهج الفوكاوي في الظاهرة الإنسانية.....48

– الفصل الثالث: نقد وتقييم المشروع الفوكاوي ومصير العلوم الإنسانية

- المبحث الأول: مقاربة بين فوكو و ليفي ستروس.....57

- المبحث الثاني: نقد وتقييم المشروع الفوكاوي 62

- المبحث الثالث: مصير العلوم الإنسانية.....67

خاتمة.....74

قائمة المصادر و المراجع 78

الفهرس.....85